الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي –سعيدة–
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها
تخصص النقد الأدبي عند العرب

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

النقد الأدبي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي

–البحث عن القضايا والمنهج–

إعداد الطالب:
– حري عبد القادر

بإشراف الأستاذ:
د. بن يمينة بن يمينة

لجنة المناقشة:

الدكتور مجاهد ميمون	جامعة سعيدة	رئيسا
الدكتور بن يمينة بن يمينة	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
الدكتور زروقي معمر	جامعة سعيدة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1437–1436/2016–2015

دعاء:

اللهم ... اشرح لي صدري

ويسر لي أمرى

وأحلل عقدة من لساني

اللهم ... أغنني بالعلم....

وأكرمني بالتقوى ... بالعافية

اللهم ... زذنا ولا تنقصنا

وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثارنا ولا تؤثر علينا

اللهم ... إن نسألك الثبات في الأمر

والفرعية على الرشد

ونسألك شكر نعمتك وحسن عيادتك

ونسألك قلبا سليما ولسان صادقا

ونسألك من خير ما تعلم

ونعوذ بك من شر ما تعلم

ونستخيرك لما تعلم ... إنك علام الغيوب

إهداء

الى من تملت من نبعها الحنان والصفاء، الى خفقة القلب وشعلة النور المتألق أبدا الى "أمي ثم أمي ثم أمي" نبع كل طهر ودفء متجددين في حياتي.

الى ذلك العظيم الذي علمني الاجتهاد والعزيمة ... أبي الى كل من كانت أمي الثانية.

الى من تقاسمت معهم ظلمة الرحم، الى شموع البيت جيلالي، عبد الكريم

الى عناق البراءة المطلقة والشغب الطفولي في صخب ممتع الى أبناء أختي ... جلول، محمد، خليفة، رانية، وئام، رجاء، نورهان

الى كل عائلتي من الصغير الى الكبير.

الى كل من تقاسمت معهم جنون المطر وخيبة الأمل، الى رفيقات الدرب نور الهدى، حياة، حليمة، أسماء، فاطمة.

الى كل من أحبوني وأحببتهم بصمت وإعلان، الى كل الذين أعرف أنّ القلم لن ينصفهم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المؤطر الى كل من قدّم لي يد المساعدة.

عبد القادر

كلمة شكر

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات

وتتحقق برضاة الآمال والغايات

اعترافا بالفضل لأهله وعملا بقوله تعالى:

"فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون"

ونتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير بعد اللّه سبحانه وتعالى

للأستاذ الفاضل "بن يمينة بن يمينة"

الذي مدّنا بالعون والتوجيه لإتمام هذا العمل.

شكرا لمن طبع في عقولنا الحروف حتى كتبنا بها جمالا وألقينا بها كلمات أمام الصفوف.

معلمين وأساتذة من الطور الابتدائي الى الطور الجامعي وتشكراتنا الى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

وكل من سهر وعمل على كتابة وطباعة هذا العمل "سيدأحمد"

والى كل طلبة اللّغة والأدب العربي من السنة الأولى، السنة الثانية، السنة الثالثة، الماستر1، الماستر 2، وطلبة الدكتوراه

وإلى كل طلبة السنة الثانية ماستر "تخصص النقد الأدبي عند العرب دفعة 2016/2015

مقدمة

مقدمة:

يشكل النقد أحد الركائز الأساسية التي تنهل منها الحضارات المعرفية، فهو المرآة التي تحكم من خلالها على وجه الأدب، وهو المرتكز الأساس لدراسة الجوانب الخاصة بهذا النمط. وقد ظهر هذا الصنف منذ بداية البشرية كحكم أوّلي على مختلف الظواهر الإبداعية، وبدأت تجلياته منذ العصر الجاهلي متمثلة في تلك الآراء التي يصدرها شاعر على آخر، إما سلبا وإيجابا، دون الاحتكام أو التقيّد بمنهج محدّد، لتتواصل هذه المعطيات في امتداد جغرافي وزمني حتى العصر الأموي، ونهايته، حيث تبلورت الفكر النقدية خاصة بظهور بعض المعايير التي تؤسس قاعدة لفهم وتقييم الأعمال الأدبية والشعرية على وجه الخصوص، ممّا فتح المجال للعديد من التمظهرات النقدية.

فيا ترى كيف نشأ النقد في ثقافتنا العربية؟

وماهي تجلياته في العصر الجاهلي؟ وفيما تتمثل مظاهره؟ كيف كان النقد في عصر صدر الإسلام؟ وماهي المعايير النقدية التي تم الاحتكام إليها؟ وكيف تجسّدت الرؤى النقدية في العصر الأموي وحتى نهايته؟ وماهي الإجراءات التي طبعت هذه الحقبة الزمنية؟ والى أي مدى استطاع النقد مواكبة الانتاجات الأدبية والشعرية على وجه بالخصوص؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، وغيرها اتّبعنا الخطة التالية:

مقدمة، وفيها تمهيد لظاهرة النقد في العصور المحصورة في العنوان، تليها الإشكالية المتعلقة بالبحث، ثم مدخل بعنوان منطلقات نقدية تناولنا فيه بعض الممارسات الخاصة في هذا المجال، مستندين على بعض الحقائق التاريخية.

يليه ثلاثة فصول، الأول منها بعنوان النقد في العصر الجاهلي، وخصصناه للحديث عن هذه الظاهرة في هذه الفترة من حيث نشأتها الزمنية، والبيئة، وكيف تم بسط هذا المنحى في نظر بعض الدارسين. أمّا الفصل الثاني فوسمناه بالنقد في صدر الإسلام، من حيث حالة الشعر، وأهم المعايير التي تم الإستاد إليها في تقييم الأعمال الأدبية، وصولا الى طبيعة النقد في هذا العصر. بينما خصصّنا الفصل الثالث لدراسة النقد في العصر الأموي، وتطرقنا الى عوامل تطوره في هذه الفترة، وأنواعه. وتحدّثنا عن الناقد في هذا العصر من حيث تصنيفه وأهمّ الشروط التي يجب أنّ تتوفر فيه.

ثم خاتمة تعدّ حوصلة لأهم النتائج التي خلصنا إليها في النهاية. تليه قائمة المصادر والمراجع.

أمّا فيما يخص الأسباب التي دفعتنا الى خوض غمار هذا البحث فهي تعود بالدرجة الأولى ما يفرضه التخصص، ثمّ اهتمامنا بالقضايا النقدية التي تمثل وجهة مركزية لتقييم الأعمال الأدبية، بالإضافة الى أنّ فكرنا العربي نقدي بامتياز، ونضيف الى جملة هذه الأسباب إثراء مكتبتنا البحثية بمثل هذه المواضيع المهمة التي تعكس الوعي العربي، المتقدم، والفكر الراقي الذي بدأ من الذاتية، ليصل بعد مجهودات مختلفة الى سلّم الموضوعية شيئا فشيئا، عن طريق الممارسة والتأليف.

ويبقى أي عمل يواجه مجموعة من الصعوبات، تتمثل الأولى في اختلاف وجهات النظر وتضاربها، واتسام بعضها بعدم الدّقة والموضوعية، إضافة الى تشعبات الطرح وخاصة أنّه يحصر ثلاثة حقب تاريخية تشكل محطات بارزة في فكرنا النقدي العربي، ناهيك عن قلّة بعض المراجع التي تحدّد الإطار المعرفي والمنهجي المبني على رؤية نقدية محضة بعيدة عن متاهات الذاتية.

ولولوج هذا العالم البحثي، وبسط مواضيعه اتبعنا المنهج التاريخي والوصفي يتخللهما التحليلي في بعض المحطات.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي أنارت دربنا فهي تتمثل في:

- ابن قتيبة، الشعر والشعراء.
- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب.
- عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي.

مدخل: منطلقات نظرية

مدخل:

ان موضوع النقد هو الأدب الذي يتقدم عنه النقد و يسبقه في نشأته ،لأن"النقد هو تقويم الآثار الأدبية و لا يمكن تقويم شيئ لا وجود له "[1].لذلك فان النقد الأديب نشأ عند العرب بارتباطه بالشعر في الأغلب ،غير أن كان عندهم النثر الجيد كما جاء في كتاب (العمدة):" وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون"[2].غير أن الكتابة في ذلك الوقت لم تكن منتشرة انتشارا واسعا بين العرب حتى أواخر العصر الجاهلي، وكان يصعب التدوين لقلة الأدوات المتطورة وندرتها ،فكانت الذاكرة هي الوسيلة الوحيدة والأقدر على حفظ الشعر لارتباطه بالوزن و القافية ،حيث كان يصعب حفظ الكثير من الكلام المنثور و نقله مشافهة ،فان الشاعر بالنسبة الى الجاهلين يمثل لسان القبيلة الحامي حقيقتها و المعبر عن أغراضها و المدافع عنها .

فهذا الاهتمام بالشاعر يستوجب الاهتمام بالشعر فالعرب فطروا على تذوق الكلام الجميل والانفعال به و الطرب له ،الا أن هذا الانتقاء لم يكن انتقاءا عشوائيا وانما خضع لمعايير معينة في شعر الشاعر ،وهذا ما يؤكد وجود ممارسة ونوع من النقد على أشعار الشعراء ،فهذه الأسباب أدت الى ارتباط النقد بالشعر أكثر من ارتباطه بالنثر ،لأن نقد الأعمال المنثورة يصعب حفظها و يتطلب أن تكون مكتوبة.

و بناء على هذا فان النقد عند الجاهليين كان أكثر للشعر ،فكانت أولوية النقد لا تخف على أحد حيث أن تاريخ النقد عند العرب قد شهد تطورا كبيرا في ذهنيات النقاد و تناولهم للآثار الأدبية وأعلام الأدب[3]،حيث أن النقد قديما قدم الأدب ،الا أن بدايات النقد كانت تلتمس لما سمحت به الآثار الباقية

[1].-محمد الطاهر درويش:كتاب في النقد الأدبي عند العرب،ص59.

[2].-ابن رشيق :العمدة ،تح:محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل،بيروت،ط/2،ج2،1972،ص:1-5.

[3].-عبد العزيز عتيق :تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،د/ط،ص15.

فالنقد قد تعرض لكثير من الخطوات والاتجاهات التي سلكها منذ العصر الجاهلي من سذاجة الأحكام وعفوية الرأي ،وما يناسب من طبيعة تلك الأحكام وما يلائم روح البداوة السائدة ،وقد كانت تلك الأحكام والنظرات الفنية هي النقد الساذج في نشأته أو هي النقد الأدبي وأولويته ،وتعود صدى هذه الأحكام في الفرنسيين الأوليين للهجرة بالتجديد بأغزى بيت أو أهجى بيت ،وتحديد الأغلاط في الوصف أو في المعاني ،ثم قدم الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه (علم العروض للنقاد) ،فكان أول مقياس موضوعي للنقاد في الشكل على النزعة الجمالية عند العرب والفطرة فيه ،والتي جعلته لا يكف عن تناول الشعر ولا يسأم النظر فيه ،شأن كل فنان يحب فنه يجعله دائما يحاول أن يسمو الى الدرجة التي ليس فوقها درجة.

و هكذا كان النقد القديم ساذجا أوليا في مبدأ الأمر ثم سار خطوات لن تبلغ به المدى ،ولكنها قطعت شوطا له قيمته بالقياس الى طفولة الأدب ،والى طفولة النقد التي كانت في حين ذلك ،وقد طبقت الأحكام الشيءنفسه و صحبت هذه الخطوات النقد الأدبي بطابعها الذي يواكب و يماثل روح البداوة السائدة ،فليس ثمة أصول أو قواعد يترسمها الناقد أو تخضع له الحياة الفنية ،وانما هي خطوات بسيطة اعتمد عليها النقد الأدبي على الذوق الفطري .

ان النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متاكامل ففي النظر الى الفن عامة أو الى الشعر خاصة ،يبدأ بالتذوق ويمر منه الى التفسير والتعليل والتقييم،وثل هذا النقد لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفويا ،لهذا تأخر النقد حتى ترسخت القواعد والأصول له .

فالنقد هو ممارسة انسانية يقوم بها الانسان في حياته بحثا عن الكمال وتجنبا من الوقوع في الأخطاء ،عن طريق تقويمها و تصحيحها و يشمل جميع مناحي الحياة .

فالنقد في المعجم اللغوي هو كلمة مأخوذة من نقد انتقد الصيرفي الدراهم ،وهو عملية التمييز بين صحيحها وزائفها ،أو بين جيدها و رديئها وفي قول أبي يحي بن علي المنجم في كتابه (نقد الشعراء)يقول:

رب شعر نقدته مثل ما ينقد رأس الصياريف الدينارا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معا أبكارا [1].

ومعنى هذا أي رب الشعر عبته ،كان عيبك له سببا في شهرته و استحسان معانيه و ألفاظه ومن المعاني قيل أيضا ناقدت فلانا اذا ناقشته في الأمر [2] .

فمن هذه التعريفات للنقد فهذا هو المعنى الواسع و الشامل لكلمة نقد ،غير أنها تقتصر على معنى الزيف والعيب ،وكذلك يقول أبي الدرداء في حديثه :"ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك[3] .

وما نعود اليه هوأقدم عصر ، وهو عصر الجاهلية في تاريخ الأدب العربي ، فقد تمثلت الحركة النقدية الأدبية في العصر الجاهلي في أسواق العرب كسوق عكاظ،وكذلك تمثلت في المجالس الأدبية وفي حضرة الملوك (ملوك الغساسنة ،ملوك الحيرة)، ففي هذه الأماكن كان الشعراء العرب يلقون شعرا ة يتنافسون فيما بينهم و يتناقدون، مما أدى ذلك الى نهضة وقيام النقد.

وكان لقريش فضل و دور كبير في تطور ورقي النقد و تقدمه و ازدهاره ،اذ أنها وقفت محل المتخير و أخذت موضع الناقد،و كانت قريش تختار من كل قبيلة أحسن ما عندها من ألفاظ و أساليب .غير أن النقد عند الجاهليين كان مبني على اصدار الأحكام بشكل انطباعي أو خاضع لخبرة جمالية ،فمن بين الأحكام التي اتخذها النقد الجاهلي قد اتخذ اتجاهين :الحكم على الشعر،والحكم على الشعراء و المفاضلة

[1].-ابن الرشيق:العمدة ،المصدر السابق،ص105.

[2].-ابن منظور:لسان العرب ،دار صادر،بيروت ،ج3،ص425.

[3].-أحمد أمين :النقد الأدبي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط/2، 1967،ص17.

بينهم ،وخلع الألقاب على بعض القصائد ،ففي ميدان الحكم على الشعر ركز الناقد على الألفاظ والمعاني،وبناء الصور الشعرية كاملة البناء مهمشة ،فمن بين نماذجهم من النقد القديم نجد صور نقدهم التي تناولت اللفظ،وعدم تمكنه من الدلالة ما أخذه طرفة بن العبد حيث سمع المتلمس يقول :

وقد أتنسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

عندها قال طرفة بن العبد: استونق الجمل فضحك الناس [1] .

أي جعله ناقة ووصفه بصات الناقة و هي الصيعرية ،وهي علامة عنق الناقة لا البعير او هي سمة الذوق لا الفحول .

كما نقد أيضا بعض النقادالشاعر الأعشى في تضمينه للمعنى الواحد ألفاظا متكررة في قوله :

وقد عدوت الى الحانوت يتبعني شاو مشل شلشل شوال [2].

كما عابوا أيضا النابغة الذبياني في قوله :

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

رغم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك حدثنا الغراب الأسود

ففطن النابغة لعيبه ،وغير شطر البيت أي غير كلمة حدثنا ب تنعاب و جعله بذلك :

تنعاب الغراب الأسود .

[1]-.ابن قتيبة :الشعر والشعراء ،مطبعة بريل ،لندن،د/ط1902،ص88.

[2].-أحمد أمين:المرجع السابق ،ص141.

وكذلك النقد الجاهلي وصل الى الغلو في المبالغة ،واعتبرها بعض النقاد مقاربة للصدق و الحقيقة ، مخلة للمعنى ،معيبة للشعر و المشاعر ،ولكن بعض النقاد صنفها من أحسن أنواع الشعر وأجوده شعارهم في ذلك "أحسن الشعر أكذبه ".

ومن أبيات الغلو في الجاهلية وأكذبها مهلهل :

فلولا الريح اسمع من بحجر صرير البيض تقرع بالذكور [1].

فقال :فالشاعر التفت العصر الجاهلي الى الصورة الشعرية ،من حيث قدرة الشاعر وعدم قدرته على أداءها

.

فمن نماذج و صور النقد في العصر الجاهلي تناولت الألفاظ و المعاني و الصور،أما الاتجاه الثاني وهو الحكم على الشعراء و المفاضلة بينهم ،و خلع الألقاب الخاصة على بعض القصائد،عن طريق الموازنة فيمثلها النابغة بني ذبيان ،و كان تضرب له قبعة من جلد في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء ،فأنشدت الخنساء للنابغة فقال لها :"والله لولا أن أبا بصير أنشدني أنفا لقلت انك أشعر الجن و الانس "[2].

أما في ما يخص عن طريق الموازنة و المفاضلة تم اختيار قصائد و أطلقوا عليها ألقابا لتجمل رأي الناقد،فمن ذلك (اليتيمة) اللقب الذي حملته قصيدة "سويد ابن أبي كاهل "،والتي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصل الحبل منها ما انقطع

النقد في العصر الجاهلي تناول الآثار الأدبية ،و كان النقد عند العرب نقدا جزئيا تأثيريا يندفع الى العاطفة والذوق الفطري ،و يكشف له ما تخضع له الآثار الأدبية من عوامل مؤثرة وعما يلابسها من ضعف أو

[1] أحمد أمين: المرجع السابق، ص 447.

[2] ابن الرشيق: العمدة، ج2، ص62.

قوة [1]،كما يدرس خصائص المنشدين المبدعين و طريقتهم في الأداء و التفكير ،و لقد كان العرب الجاهليون مشغوفين بالشعر ،و به قد أطالوا الوقوف عنده و أمعنوا النظر فيه ، فكان التخيير والتمييز و الحكم هو ما نسميه بالنقد الأدبي الساذج لاعتماده على الذوق ،و الوهبة و الخبرة ،و المعرفة ،و أنه في الغالب عبارة عن أحكام ذاتية يرسلها الناقد دون تعليل أو تحليل .

أما فيما يخص النقد في عصر صدر الاسلام ،فنعني بصدر الاسلام بتلك الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الاسلام ،وانتهت بقيام الدولة الأموية .

فالنقد الأدبي نشأ مع الأدب ،وكان تابعا له الى أن الحياة الأدبية في صدر الاسلام بدأت مع بداية الدعوة ،ثم بعد ذلك ظهر الاسلام و البلاغة العربية ،ولم يرد العرب الاستماع الى بلاغة القرآن الكريم ، حتى أخذت الدهشة و بقي عاجزا عن معارضته ،فالاسلام جاء الى كافة البشر يدعوا الى الحق و التوحيد .[2].

فغيرت الحياة العربية و انعكست تماما ،فالاسلام كان ناجحا في نقل العرب من بيئة جاهلية الى بيئة اسلامية ،الا أنهم لم يتخلوا دفعة واحدة عن نزعاتهم الجاهلية الا أن الشعر خفت موازينه ،فالقرآن بأسلوبه الرائع و بلاغته المعجزة ففضلوه على الشعر ،فالحياة الأدبية في هذا العصر تأثرت الى حد بعيد بالاسلام ،غير أن الشعراء تمسكوا بالاسلام و انصرفوا انصرافا تاما عن الشعر ،والبعض الآخر ذهبوا الى الشعر دفاعا عن الرسول صل الله عليه و سلم و دعوته ،وكان شعرهم لا يخرج عما كان في الجاهلية من حيث التنوع و الأغراض (المدح و الهجاء) .

[1] أحمد أمين: المرجع السابق، ص198.

[2] ابن الرشيق: العمدة، ط/4، ص31.

ان الحياة الأدبية في عهد الرسول صل الله عليه و سلم كانت محدودة ،تمثلت في الأغلب في شعر الهجاء و المدح ، فلا شك للنقد أن يتحرك في هذا النطاق الضيق المحدود، لذلك لم تكن حركة النقد الأدبي نشطة في هذا العهد رغم تأثرها بالقيم الجديدة التي جاء بها الاسلام.

كان الشعر من بين ألوان الفن يمتاز بين القيم الجاهلية و القيم الاسلامية بموقف خاص ، وكان مرد هذا الامتياز ، الى حياة الدعوة الاسلامية نفسها ، فكان الشعر أداة حادة عند العلاب ،فقد انطلق مشرك قريش يلون شعراءهم بهجاء النبي صل الله عليه و سلم ،وكان ذلك أثر في نفس الرسول عليه الصلاة و السلام و نفس أصحابه ،وقد أثر الشعر في القبائل المجاورة و المدن البعيدة التي كان يصل اليها أكثر مما كان يعنييه أثره بين قومه في مكة أو بين أنصاره في المدينة ، لأن الصورة المثلى التي يشير لها كانت واضحة ،ولم يقوى الشعر على أن ينال من جمالها ،فلقد كان الشعر حميم الصلة بالدعوة الاسلامية يقف معها و يتأثر بها على نحو ما في موضوعاته ، والبعض كان بعيدا لم تصله بالدعوة أواصر متينة ،فمضى أصحابه ينشدونه وفق القوانين الفنية ، ونجد فيه أثرا للاسلام ، ولكن هذا الأثر ينعدم في أحيان كثيرة،حتى يكاد شعرهم لا يتميز في شيء من شعر العصر الجاهلي الا شعر الأعشى ،قد بنى الشعراء فخرهم ومدحهم و هجاءهم و بقية الأغراض الشعرية في العصر الاسلامي على أسس من المبادئ الاسلامية و القيم الأخلاقية ، التي استحدثها الدين في المجتمع ، التي أقرها السلام كالكرم ، والشجاعة ...وغيرها ،و الى جانب القيم الجديدة كالتسامح ،والتواضع ، والعدل ،والاحسان ،و الخلق الحسن ،و سارت هذا الأسس معايير جديدة لنقد الشعر و الحكم عليه في صدر الاسلام بتطوير مهم في تقدير النص الأدبي ، فمن خلال القرآن الكريم و مواقف الرسول صل الله عليه و سلم التوجيهية ومن تبعه من الخلفاء الراشدين يتبين أن اعجاز النص القرآني بدا ينظر الى المضمون و أهميته في الدفاع عن الدعوة ،ومن ثم فان الشعر ظل يصور حياة الناس و يجري على ألسنة الشعراء عذبا و رقيقا ، حيث يستوعب همومهم و يعبر عن مشاعرهم ،فلم يبق

أحد من أصحاب الرسول صل الله عليه و سلم ،الا و قد قال الشعر و تمثل به ،فعندما جاء النبي عليه الصلاة و السلام هذب كلام العرب و طباعهم و أنشأهم تنشأة جديدة ، فقد أثر عنهم تشجيع الشعراء ،و تمثل قولهم جهادا في سبيل الدين ، فمن أشهر ما ورد في ذلك قوله : "ما يمنع الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم "[1] .

وقوله: "ان من الشعر لحكمة " [2]،و كذلك وجدت أحاديث أخرى في ذم الشعر ،ومن ذلك قوله :"لأن يمتلك جوف الرجل قيحا خير له من أن يمتلأ بالشعر "[3].

وقال في شأن امرئ القيس :" ذلك الرجل مذكور فالدنيا شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى جهنم".فهذه النظرة المزدوجة الى الشعر يعني بها الرسول صل الله عليه و سلم قد نظر اليه من زاويتين :فالنظرة الأولى أنه يعتبر الشعر خطرا على الدعوة أثناء معركته مع المشركين ،حيث نجده يحث الشعراء المسلمين على مهاجمة خصومه بالقصيدة الشعرية ،وهو موقف نابع من غاية الشعر ،التي قد تؤدي الى ضرر بالدعوة الاسلامية و حركتها ،ورغم أن بعض الشعراء هاجموا الرسول صل الله عليه و سلم و صحابته الا أن أحدا لم يستطع أن ينزع عنها صفة الشاعرية ، وظل المسلمون يتناقلون أشعار الجاهليين ،مما يدل على الفصل بين الدين والشعر تقليد فكري عند العرب ،فالرسول عليه الصلاة و السلام وأزكى تسليم له نظرة أخرى أن له اعجابا بالشعر و سماعه له ،و يظهر ذلك من خلال مواقف كثيرة ،فقد كان يكافئ المحسن من الشعراء و يعفو عن المسيء منهم ،هو الذي استنشد الخنساء و حث حسان بن ثابت على نظام الشعر و غض عن كعب بن زهير [4].

[1] أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ،دار الصعب، بيروت ،عن طبعة البولاق ،ج4،ص142.
[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، ج1، ص13.
[3] ابن الرشيق: العمدة، ج1، ص:31-32.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص32.

وقد كان الرسول صل الله عليه و سلم يسمع الشعر و يقدر أهميته ،و يدرك تأثيره في نفوس العرب ،و قد أعجبه بعض ما سمع من شعر الجاهليين ،وكان يستحسن قول طرفة بن العبد في قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا و يأتيك بالأخبار من لم تزود

ان موقف كبار الصحابة و الخلفاء الراشدين من الشعر بذوهم الرفيع في تذوق الشعر و استحسانه ،اضافة الى جانب اهتمامهم بقضايا الدين ، والدولة وكانوا يفسحون مجالا للشعر ونقده [1].

و قد تبنى الخلفاء موقف النبي عليه الصلاة و السلام من الشعر و فاضلوا بين الشعراءانطلاقهم من توجيهات الرسول ،حيث ساروا على الطريق الذي رسمه لهم ،وكان نظرهمخ في الآثار الأدبية ونقدهم لها بأنواع مواهبهم الشخصية ،و نزعاتهم الذاتية ،وأذواقهم الفنية ،فلقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه عالما بالشعر و الأخبار ،فحين مر رجل برسول الله وهو مع أبي بكر ينشد الشعر و يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار

فالتفت الرسول عليه الصلاة و السلام الى أبي بكر قائلا :أهكذا قال ؟ قال أبو بكر :لا بعثك بالحق ، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف

فهذه الرواية تبين لنا أخذالنبي صحابته بالتدريب على رواية الشعر ،ومعرفتهم صحيحه من غيره ، ويكاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون ناقدا للشعر يحكم عليه و ينتقده ولا يكاد يعرض أمر الا أنشد فيه بين من الشعر ،وكان له مقياسه الخاص في تذوق الشعر و أساليبه وقد ظهر الأثر الاسلامي في أراء عمر بن الخطاب ، وميله الى الصدق و اعتبار الأدب أداة سياسية ،وقد ذكروا أنه كان يفضل امرئ القيس

[1] -.المصدر السابق، ص32.

، ويقول فيه :" سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر "،و يصف زهير بن أبي سلمى :" بأنه الشاعر لا يعاضل بين الكلام الا بتتبع حوشيه ولا يمدح الا بما فيه".

ان هذه المواقف تعكس أن هذه الفترة لم يغب عنها الشعر ،بل كان حاضرا ، وقد تغيرت مضامينه متشبعة بالتعاليم الاسلامية ،فكان اعتناؤهم بالشعر و نقدهم يدل على أنهم يفهمون الشعر بوصفه كلاما فيه قصد فني .

أما فيما يخص النقد في العصر الأموي ،فنقصد بالعصر الأموي تلك الفترة الزمنية التي تبدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان ،وتنتهي باستيلاء العباسيين على الحكم ،نشأ الخلاف بين المسلمين على الخلافة ، ثم تطور هذا الخلاف بيم معاوية و علي ، وأدى هذا الى حرب فقتل الامام علي رضي الله عنه على يد معاوية ،وبعد ذلك انقسمت العرب الى شيع و أحزاب ،ففي الشام من يشايع معاوية ويعمل على تثبيت حكمه ،وفي العراق من يشايع علي ،أما في الحجاز الزبيريين كاموا مؤيدو عبد الله بن الزبير الطامع بالخلافة ،وهناك أيضا الهاشميون والخوارج والمرجئة .

كان الحكم قبل معاوية شورى ثم بعد ذلك ثم بعد ذلك تحول الحكم و أصبح ملكي ووراثي[1] ، وبعد ذلك أحي الروح العصبية بين العرب وتملكه للحيلة و استخدامه لسياسة العطاء ، وكان لكل هذا أثره الفعال في نهضة الأدب العربي ،فما كان للشعر أن يقف في وجه هذه التغييرات ،بل كان الشعر مثير للغاية ،فقد استمال الأمويون بالمال و العطاء كثيرا من الشعراء،وهذا ما أدى الى اثارة روح المنافسة بينهم ،حتى أصبح الشعر في هذا العصر صناعة يكتسب بها صاحبها ، فتطور الشعر وازدهر في ثلاث بيئات : بيئة الحجاز والعراق و الشام ،أما البيئات الأخرى في الشعر العربي كفارس و اليمن و مصر و المغرب و الأندلس ، لم

[1] المصدر السابق ،ج1،ص32.

يكن لها حظ وافر من الازدهار و الشيوع ،فما دام النقد يساير الأدب،فلكل نقد من هذه البيئات الثلاث لون خاص حسب البيئة التي نما فيها .

تحول النقد في هذا العصر (العصر الأموي) غالى طريقة لها أصولها و أدواتها ، ومع أن هذه الأصول و الأدوات لم تكن نضجت ولم تصل الى صفة المنهج ن فان بيئات النقد في الحجاز والعراق و الشام ، كانت لتلك المدارس التي ظهرت في العصر العباسي و أرست قواعد واضحة في العمل النقدي .

نقد الحجاز :

انتقلت الخلافة الى الشام و تغيرت الحياة في الحجاز عما كانت عليه في العصور التي مضت قبل ، فبني الهاشميون عن الحكم و استقروا في الحجاز و سلط عليهم الأمويون الترف و شغلوهم بالمال حتى ينفروا فعاش الحجازيون في العصر الأموي عيشة غنى و ثراء فسكنوا القصور ..، وغير ذلك [1].والى جانب هاته الحياة السائرة في الحجاز تواجدت حياة أخرى وهي حياة جادة محترمة انشغل رجالها بالدين ، فقد ظهرت بمكة والمدينة مدرستان للقرآن و الفقه و الحديث و التشريع ، وكان فقهاء الحجاز متسامحين ،غير أن الشعر الحجازي الذي نشأ في هذه البيئة المطمئنة المترفة ، فانفصل فيها الشعر الحجازي في هذا العصر و ابتعد عن الفخر و المدح و الهجاء ،و سيطر عليهم شعر آخر و هو شعر رقيق فيه جرأة و تصريح فاضح للنساء ، فيه اباحة و دعابة ألا وهو شعر الغزل ، وقد حمل لواءه الشاعر عمر ابن أبي ربيعة ثم تبعه الكثير من شعراء مكة و المدينة ، كابن قيس الرقيات و الأحوص و نصيب رباح و نظموه نظما في موضوعات تواكب ما يتطلبه العصر من مضامين .

[1] أحمد أمين :النقد الأدبي ، المرجع السابق ج2، ص452.

ولكن تواجد بعض الشعراء المحافظين أثروا على الغزل العفيف و ساروا على النمط القديم ، لم يحددوا الا بمقدار ، فمن هؤلاء الشعراء نجد كثير، عزة وجميل بن معمر ..، و بعد ذلك تطور الشعر الحجازي في العصر الأموي ونهض حتى غلب عليه الغزل الاباحي ، الذي أخذ ينزع شيئا فشيئا لباس البداوة ، و يرتدي لباس الحضارة ، فاتسع أفق النقد و ساهم فيه الكثير من الشعراء ، ومعظمهم ساهموا في ميدان النقد و خاصة عمر و كثير ، وكان شعرهما مثارا للنقد وكل واحد ذوقه و ثقافته ، ففي هذه الفترة ظهرت شخصيتان مثلا هما : ابن عتيق عبد الله ن والسيدة سكينة بنت الحسين وكلاهما صاحب منزلة دينية عالية .

فانشغل النقاد يقلدون هده النماذج من وجهة نظر خاصة وجذوره الفكرية بحثا عن النموذج الأجود و الأحسن ، وقد زخرت عواطف الشعراء بهذا الشعر ، وأخلوا الحجاز من أي حركة لغوية تحد من انتشاره ، فقد كان النقد مسايرا لهذه النهضة الأوروبية ، وأخذت ألوان من النقد تختلف في اتجاهاتها باختلاف الحياة في أرجاء الدولة ، فاتجه الحجاز الى المعاني معملا فيها ذوقه الحضاري.[1].

وأكب على الغزل الذي شاع يقيسه بمقياس الطبائع السليمة و المشاعر الصادقة ، وما يلائم العفة ويتصل بها من خلق و عذرية .

فالنقد في هذا العصر اتجه اتجاهات متعددة و اتخذ صورا شتى ، ومن هذه الصور نجد المفاضلات و الموازنات ، فلم تبق على صورتها القديمة [2]، بل تطورت في هذا العصر و التفتت الى جوانب من الشعر لم يكن النقاد القدامى يستخدمونها ، كتنوع القول في الأغراض أو الحكم لأحدهم بأنه زعيم الغزل ، أو أكثر أفانين شعر.ومثال على ذلك قد اعتمدها نوفل بن مساحق حين حكم بين عبد الله بن قيس الرقيات و

[1] المرجع السابق ، ص 453.

[2] أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني ،ج1، ص 50.

بين عمر بن أبي ربيعة ،فحكم هذا الأخير بأنه أشهر في الغزل و الأول في أنه أكثر أفانين الشعر[1] ، ونعني بهذا أن تنوع القول في الأغراض أصبح ميزة تحسب للشاعر في ميزان النقد الأموي .

و أيضا من الموازنات ما أتت على صورة مفاضلة بين شاعرين ، فسمع الفرزدق عمر بنأبي ربيعة ينشد قصيدته و يقول :

جرى ناصح بالود يبقى وبينها فقربني يوم الخضاب

فصاح: "في هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت على الديار "[2].

فعمر بن أبي ربيعة أعطى الأسبقية للغزل لأن الجاهليين كانت محاولاتهم فاشلة ،حتى بن معمر و حكم لابن ربيعة بأنه أشعر الشعراء في مخاطبة النساء و التغزل بهن .

وأيضا من الصور توجد الاباحية تطرق اليها عمر بن أبي ربيعة في شعره الى نزعة تحريرية ، وانطلق يعبر عن تجاربته العاطفية مصرحا في تعبيره ،ففتنوا به و فضلوه عن باقي الشعراء ، و نجد بعض المعارضين ممن عابو عمر بن أبي ربيعة و اتجاهه الاباحي الذي يمشي عليه لأن فيه معاصي و مفسدة للأخلاق ،يقول هشام بن عروة :" لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتورطوا في الزنا تورطا"[3] .

فاباحة عمر في شعره دفعته الى ارتكاب المعاصي و عرضته الى نقمة بعض النقاد و الفقهاء ،فرأو ا في شعره معصية و انما لم يقترفه أحدمن قبل ، فيقول في ذلك أبو المقوم الأنصاري :" ما عصي الله بشيئ كما عصي بشعر بن أبي ربيعة "[4].

[1] السابق، ص50.

[2]أحمد أمين :النقد الأدبي ،المرجع السابق،ص35.

[3] نفسه ص35.

[4] أحمد أمين :النقد الأدبي ،المرجع السابق ،ص54.

أم الصورة الثالثة وهي التشبيب: وهو مدح الشاعر نفسه في النسيب ، فالمرأة موضوع الغزل ومعبودة للشاعر ، فلا ترخص عواطفها لأحد يجعلها طالبة لا مطلوبة، بل يجب اظهارها في صورة عالية والعاشق الولهان في صورة تودد وتذلل .

فالحجازيون استقبحوا هذا الاتجاه من الغزل، و بعض القريشيين يستحسنونه غير أن ابن أبي عتيق رغم تعصبه الشديد لشعر عمر و اعجابه به فانه لم ينقده وأنشده عمر قوله:

بينما ينعتني أبصرنني دون قيد الميل يدعوا بي الأغر

قالت الكبرى :أتعرفنن الفتى قالت الوسطى :نعم هذا عمر

قالت الصغرى :وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

فقال له ابن أبي العتيق :أنت لمتنسب بها وانما نسبت بنفسك كان ينبغي أن تقول: قلت لها ، وقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت علي[1].

فابن أبي العتيق يتنقد هذا الاتجاه المنحرف في الغزل ،حيث يعتز صاحبه في صور ة المعشوق لا العاشق ،ويعيب عليه تشبيهه بنفسه ،أما صورة العاطفة والعقل فكان للعاطفة دور فعال عند نقاد العصر الأموي ، وأثرها في خلق الشعر لقيم الجميلة المعبرة بقوة و صدق المؤثرة في السامعين الأفضل من شعر يوحيه العقل .

أما صورة السرقة والمحاكاة، فالسرقة هي أخذ الشاعر بيت عن غيره من الشعراء معرضا للسخرية والاستهزاء، ومثال على ذلك قول أفخر الناس حين تقول:

[1] السابق، ج7،ص80.

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

فهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق [1].

أما المحكاة فهي سرقة أسلوب و تقليد نمط و مثال ذلك حين حاول جميل تقليد عمر في حواره القصصي حيث يقول :

وهما قالتا لو أن جميلا عرض اليوم نظرة فرآنا

بينما ذاك منهم واذا بي أعمل النص سيره زفانا

نظرت نحو التربها ثم قالت قد آتانا وما علمنا منانا

فالتفتت بثينة الى عمر عند سماعها للأبيات و قالت :أنه استمنى منك ما أفلح و قد قيل اربط الحمار مع الفرس فان لم يتعلم من جرييه تعلم من خلقه [2].

أمام صورة المعنى فلها أثر في تطوير النقد في هذا العصر ، وتوسيع مجالاته ، فبعض الشعراء تعرضوا لابهام في المعنى ،فالسيدة سكينة تعتبر الثقافة عنصرا مهما و ضروريا في رفع مستوى الشعر ، وتعيب على الشاعر كلامه الذي ينمي عن قلة الخبرة فتسمع نصيبا يقول:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فتعيبه لأنه صرف رايه وهمه الى من يعشقها بعدها ، وتفضل أن يقول :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلح دعد لذي خلة بعدي

[1] أحمد أمين النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 81.

[2] المرجع نفسه، ص105.

فقد اتجه النقد الى بيئة العراق فان النقد في العصر الأموي بؤرة الثورات ،ووكر المعارضة السياسية للأمويين في الشام ،وقد تمثلت هذه المعارضة في حزبين أساسين هما :الخوارج و حزب الشيعة، و لكل منهما المؤيدون له و المدافعون عنه، فكان شعر هاتين الفئتين شعرا يمثل الشعر الاسلامي الجديد ، وقد اتسم بجديته في الموضوع و المعاني و الغاية و الأسلوب،فبيئة العراق اتسمت بضروب العلم و الأدب فهذا ما نشط النقد الأدبي و قد عقدت له المجالس العامة و الخاصة في الأسواق و المساجد .غير أن المدح و الهجاء كان من بين سائر فنون الشعر خير ما يرجوهما شاعر ليحظى بالشهادة الشاعرية، فكان النقد في العراق قائم على الذوق الفطري و لم يتأثر بالعلم ، وانما ظهر لون آخر من النقد الأدبي وهو نقد موضوعي مبني على القواعد و الأصول المقررة في اللغة و النحو ،وقد وجد النحاة شعر الفرزدق مادة خصبة لنقدهم النحوي ،وعن شعره قال أبو عبيدة :"لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة"[1] .

ففي بيئة العراق تصارع الناس حول المبادئ و الأفكار ،وفي تيارات السياسة والحكم ،وقد اتجه النقد الى بيئة الشام فقد طغى المدح على فن الشعر و سايره النقد في شعر الشام ، فانه لم يكن نابعا من بيئتها بل كان سائدا عليها ،و لم يستطع شعراؤها الارتفاع بشعرهم الى مستوى شعر العراق و لعل الشعر الوحيد النابع من بيئة الشام هو ما أثر عن بعض الخلفاء و الأمراء الذين انغمسوا في حياة اللهو و الطرب و الشراب ،ولو تأملنا في شعر الشام لوجدناه شعرا سياسيا يخدم الأمويين بالمديح [2] .

فقد التفت النقد الشامي الى المفاضلة بين الشعراء و المعاني و عدم التجديد و قلة الذوق ،كما عاب عليهم بكذبهم في شعرهم .

[1] السيد أحمد الهاشمي :جواهر الأدب مؤسسة المعارف ،بيروت ،د/ط،ج2،د/ت، وديوان الفرزدق ،ص7.
[2] أحمد أمين :النقد الأدبي ، ج2، ص105.

وقد حقق الشعر نهضة قوية في مختلف مجالاته وأغراضه في هذا العهد ،حيث عاد الى قوته بعد فترة ركود كان ،من اهم اسبابها انبهار الشعراء بالأسلوب القرآني و شعورهم حيالهم بمشاعر مختلفة من الاعجاب والاحساس بالنقص .

فوجود شعر كثير ما تفرغ له الشعراء، وعكف على حفظه الرواد وانقطع لدراسته الأدباء واللغويون والنحاة، واحتفل به الخلفاء والأمراء في المجالس، وانعقدت من أجل انشاده المجامع والأسواق.

الفصل الأول: النقد في العصر الجاهلي

أولا: نشأة النقد الأدبي في العصر الجاهلي.

ثانيا: بيئات النقد الأدبي في العصر الجاهلي.

ثالثا: النقد الجاهلي في نظر الدارسين المحدثين.

نشأة النقد الادبي في العصر الجاهلي:

من البديهيات التي لا تحتاج الى نقاش أن موضوع النقد هو الأدب الذي يتقدم النقد دائما ويسيقه في نشأته لأن "النقد تعويم للأثار الأدبية ولا يمكن تقوين شيء لا وجود له"[1].

لذلك فإن حديثنا عن نشأة النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي يتوجب علينا انعطافة على الأدب نفسه في هذه المرحلة من تاريخ العرب لنتبين من خلال ذلك صورة النقد المواكب لهذا الادب.

قبل البدئ في الكشف عن صورة الأدب الذي كان موضوع النقد عند الجاهليين، ينبغي أن نتنبه على ظاهرة لافتة للنظر في النقد العربي القديم، تلك هي ارتباطه بالشعر في الأغلب الأعم، مع أن الاخبار التي انتهت إلينا تؤكد كثرة ما كان عندهم من النثر الجيد. جاء في كتاب العمدة: "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد االموزون"[2].

إذ أن العرب في أغلبهم كانوا أميين لا يعرفون الكتابة.

ولنا أن نتساءل هنا: أين هذا الرصيد من التراث الفني المنثور الذي أشار إليه ابن رشيق؟

إذ عدنا مرة أخرى الى كتاب العمدة وجدنا خبرا مفاده أنه: "لم يحفظ من المنثور عشره ولا صناع من الموزون عشره، وسبب ضياع هذا النثر يعود الى أن الكتابة لم تكن منتشرة انتشارا واسعا بين العرب حتى في أواخر العصر الجاهلي نفسه، فعلى الرغم مما نجده في أشعارهم من إشارات الى الكتابة، فإن رقعتها كانت ضيقة جدا لقلة أدواتها المتطورة ونذرتها، إذ كانت الكتابة وقتئذ على جلود الحيوان وعظامها وعلى الحجر وسعف النخل...الخ. وهي أدوات بدائية يصعب تدوين تراث كامل فيها، ثم إن الذاكرة تكون عادة

[1] محمد طاهر رويش، في النقد الأدبي عند العرب، ص59.

[2] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقد، طبعة حجازي، ص28.

أقدر على حفظ الشعر، لارتباطه بالوزن والقافية، في حين يصعب حفظ الكثير من الكلام المنثور ونقله مشافهة مددا طويلة من الزمن، وزيادة على ذلك كلّه، فإن الشاعر بالنسبة الى الجاهلين كان يمثل لسان حال القبيلة الحامي حقيقتها والمعبر عن أغراضها والمدافع عنها في المواقف العظيمة، من هنا أدلت القبائل شعراءها اهتماما بالغا، يقول ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبع فيها الشاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الحال، لأنه حماية لأغراضهم ودب عن أحسابهم وتخليد لمأثرهم وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبع فيهم أو فرس تنتج"[1].

إنّ مثل هذا الاهتمام بالشاعر يستوجب الاهتمام بشعره الذي كان يصوّر مآثرهم ومحامدهم ويسجل مفاخرهم ومثالب أعدائهم، وإذا أضفنا الى هذا أن العرب، كما تؤكد أخبار حياتهم، نظروا على تذوق الكلام الجميل والانفعال به والعرب له، فهمنا لماذا كانت القبيلة تنتقي من شعرائها من تتوسم فيه الشاعرية الممتازة فتقدمه وتخلع عليه لقب (شاعر القبيلة)[2].

لا شك أن هذا الانتقاء لم يكن انتقاءا عشوائيا إنما كان خاضعا لمعايير معينة تشرطها الجماعة في شعر الشاعر، وهذا يفرض حتما ممارسة نوع من النقد على أشعار الشعراء.

هذه الأسباب مجتمعة هي التي أدت الى ارتباط النقد بالشعر أكثر من ارتباطه بالنثر، لأن نقد الأعمال المنثورة بالنظر الى صعوبة حفظها يتطلب أن تكون مكتوبة، وهذا ما لم يكن متيسر في بيئة تغلب عليها الأمية، وتعتمد اعتمادا كبيرا في شؤونها على المشافهة، وبناء على هذه الحقيقة، فإنّ النقد عند الجاهليين كان أكثر ملازمة للشعر، وهذا الشعر أول ما وصلنا ناضجا مكتمل الخصائص، فنحن إذا عدنا الى ديوان

[1] المصدر السابق، ص65.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ط، د.س، ص18

من دواوين الشعراء التي انتهت إلينا من العصر الجاهلي، أو الى القصائد الجاهلية التي تضمها المجاميع الشعرية كالأصمعيات والمفضليات وجمهرة أشعار العرب...الخ، فإن الظاهرة التي تلفت نظرنا في هذه القصائد هي الصورة التي انتهت إلينا فيها، فكل قصيدة منها تلتزم وزنا واحدا لا تحيد عنه من مفتتحها الى منتهاها ومثل هذا يمكن قوله بالنسبة الى القافية التي تحافظ على وحدتها من أول بيت الى آخر بيت فيها كما لا تجد فيها تنويعا في حرف الروي ولا حركته، فإذا وقع فيها شيء من ذلك احتسب خطأ على صاحبها. وبالإضافة الى هذا نرى كثيرا من القصائد تلتزم بالتصريع في أولها، فضلا عمّا نتبينه فيها من الاشتراك في البدئ بمقدمة تكون غالبا طليلة، يقف فيها الشاعر على الآثار المتبقية من الديار التي يربطه بها ماض جميل مع أحبته الذين ظعنوا فبقيت هذه الآثار شاهدة عليهم، فيدعوه ذلك الى التغزل بصاحبته التي يثير تذكرها مكامن الوجد من نفسه، الى غير ذلك التقاليد الفنية التي كانت تمثل بوجه عام القاسم المشترك بين هذه القصائد والتي استمدت منها القصيدة الجاهلية هويتها المميزة، فجعلت منها نموذجا فنيا كاملا بصور حياة أصحابه خير تصوير[1].

وهذه الصورة كما أدركها القدماء أنفسهم هي الحلقة الأخيرة من حلقات تطور القصيدة الجاهلية، فهي تمثل الفترة الزمنية التي تمتد على مدى قرنين من الزمن قبل البعثة المحمدية المباركة على أكثر تقدير، يقول الجاحظ:" أما الشعر (العربي) فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بين ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – الى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومئة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[2].

[1] الجاحظ، كتاب الحيوان، المطبعة الحميدية، الطبعة السادسة، ص44.

[2] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص38.

واضح أن نص الجاحظ لا يحمل ما يدل على أن هذا الشعر وجد دفعة واحدة، وعلى سبيل الطفرة بالصورة التي نجدها عند امرئ القيس والمهلهل دون أن يكون قد تدرج في نموه تدرجا طبيعيا. لأن ذلك يتعارض مع طبيعة الأشياء. يقول أحمد حسن الزيات: "وليس ممّا يسوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وأمرئ القيس، وإنما اختلفت عليه العصر وتقلبت به الحوادث وعملت فيه الألسنة حتى تهذب أسلوبه وتشبعت مناحيه"[1].

فالمعقول إذن أن يكون هذا الشعر قد "نشأ مثل كل كائن، كان طفلا ثم درج في مدراج صباه حتى شب وأيفع"[2].

واستنادا الى مثل هذا التصور، تأكد الدارسون – بمن فيهم القدماء أيضا- أن المراحل الأولى من مراحل تطور هذا الشعر قد طواها الزمن. وإزاء ذلك حاولوا أن يتصوروا تاريخا لنشأته وتطوره مع الزمن ووجدوا في قول امرئ القيس:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكي ابن حذام.

إشارة كافية للدلالة على وجود نماذج سابقة كان يهتدي بها شعراء أواخر العصر الجاهلي من أمثال امرئ القيس وعلقمة وعمر بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى وغيرهم في تأليف قصائدهم، فإن سلام الجمعي المتوفي في القرن الثالث للهجرة يذكر أن أوائل العرب لم يكن لهم من الشعر الاّ الأبيات القليلة، ويعرض علينا طائفة من النماذج يضم كل منها ما بين البيتين والثلاثة أبيات ويشير الى أنها من قديم الشعر الصحيح[3].

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص38.

[2] محمد طاهر درويش، في النقد الأدبي عند العرب، ص55.

[3] محمد بن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، دار المعارف، مصر، شرح محمد شاكر، د.ط، د.س، ص22.

وقد اعتمد الدارسون المحدثون على إشارات وجودها في المصادر القديمة فتصوروا أن الشعر العربي تطور من الكلام المسجوع شأن الشعر الإغريقي، يقول أحمد حسن الزيات: "فالسجع هو الطور من أطوار الشعر، توخاه الكهان مناجاة للآلهة وتقييدا للحكمة وتعمية للجواب وفتنة للسامع، وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون ... فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء وانتقل الشعر من المعابد الى الصحراء ومن الدعاء الى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز أول ما نظمه العرب للحداء، والغالب في الظن أنه مأخوذ من سير الجمل وهزته، لشدة الموافقة بين تقطيعه وخطواته ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وزن للغزل وزن وللهزج وزن، وهكذا الى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزنا سماها بحورا"[1].

وقد تبنى هذا الرأي دارسون آخرون كالدكتور عبد العزيز عتيق الذي يقول: "وأغلب الظن أن الشعر العربي قد بدأ أول ما بدأ بالكلام المقفى غير الموزون أي بالسجع بلا وزن، على نحو ما وصل إلينا من سجع الكهان ... تطور هذا السجع بلا وزن الى سجع موزون ممثلا في أبسط أوزان الشعر العربي وأقدمها وهو الرجز، يقول منه الراجز البيتين أو الثلاثة إذا حارب أو فاخر. ثم صاروا تدريجيا يطيلون النظم فيه.

وعن الرجز انفتح الطريق أمام أوزان آخرى من أوزان الشعر يصنعونها حسب الاقتضاء، كل وزن يوافق نوعا خاصا من الشعر ... الخ"[2].

وعلى الرغم من أن هذه الأراء تبقى مجرد افتراضات يغلب عليها الظن والتخمين فإن الذي لا مراءة فيه هو أن الشعر العربي مرّ بمراحل مختلفة من التطور في شكله ومضمونه قبل أن يصل الى صورته التي نراها عند شعراء العصر الجاهلي الأخيرة أي قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين عاما أو مائتي عام على أكثر

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص38.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص15.

تقدير، وإذا كان تطور الأدب وانتقاله من حال الى حال لا تتم على سبيل الطفرة، وإنما تتدخل في حركته تلك العوامل المختلفة، فإن الشيء لا شك فيه أن للنقد إسهام وافر في عون ودفعه نحو استكمال خصائصه.

بيئات النقد الأدبي في العصر الجاهلي:

ومن الأسواق التي ذاع ذكرها في العصر، سوق عكاظ التي كانت تقام في نجد بالقرب من عرفات من منتصف ذي القعدة الى نهايته، ومنها أيضا سوق ذي المجاز بالقرب من عكاظ، وكانت تستمر الى نهاية الحج، وسوق الحيرة وسوق حضر موت وسوق صنعاء وعدن ونجدان وكان لكل سوق من الأسواق وقت معلوم تعقد فيه"[1].

والأمر المهم في هذه الأسواق أنها لم تكن خالصة للتجارة بل كانت متعددة النشاطات، فسوق عكاظ- "كانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في خصوماتهم ومناغاتهم وكل ما يتصل بهم من شؤون"[2].

وفوق ذلك كله كانت سوق أدبية تلقى فيها الخطب وتنشد الأشعار، كما كانت بيئة من بيئات النقد الأدبي، وقد عرضت المصادر القديمة بهذا الشأن أمثلة حية للحركة النقدية التي عرفتها عكاظ، جاء في الأغاني أنه "كان يضرب للنابغة قبه من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ... وأول من أنشده الأعشى ثم حسّان بن ثابت ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

[1] شوقي ضيق، العصر الجاهلي

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

فقال: والله لولا أن أبا بصير – يعني الأعشى- أنشدني آنفا، لقلت إنك أشعر الجن والانس، فقال حسّان: "والله لأنا أشعر منك ومن أبيك. فقال له النابغة: يا ابن أخي، انت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع[1].

النقد الجاهلي في نظر الدارسين المحدثين:

وإذا تأملنا الأحكام التي أصدرها الدارسون المحدثون في حق النقد الجاهلي، فإننا نلاحظ أنّ الظاهرة الغالبة عليها هي وصف هذا النقد بالبساطة والسذاجة، فالأوصاف المتداولة بهذا الشأن عند أكثر الدارسين هي أن النقد ذاتي انطباعي، ذوقي جزئي، خال من التحليل والتفسير والتعليل وأنه قائم على الانفعال الوقتي ولا يستند الى قواعد مقررة، وليس له من دعامة الاّ الطبع والذوق المحض، يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: "فالملاحظات النقدية التي رويت وقيلت في بعض ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي تؤكد أنّ تقدمهم كان مبنيا على الذوق ولفطرة التي تتأثر بما تسمع من قول فتصدر الحكم عليه غير معلل أو غير مشنوع بحيثياته، فالناقد إذا استساغ بذوقه الفطري قصيدة أو بيتا أو حتى نصف بيت منها، فما أسرع ما يتأثر ويندفع الى التعميم في الحكم ويجعل من الشاعر أشعر الناس..."[2].

وقبله قال الأستاذ أحمد أمين يتحدث عن النقد في العصر الجاهلي: "وكما ينفعل الشاعر بعواطفه فيشعر، ينفعل الناقد بنقده وكلاهما بدائي ساذج، هذا في أدبه وهذا في نقده"[3].

[1] علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني، تحقيق عبد الستار فراج، طبعة دار الثقافة، بيروت، 1986، مطبعة المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، ج9، ص330.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص34.

[3] أحمد أمين، النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1976، ص418.

امّا الدكتور بدوي طبانة فيقول في هذا الموضوع: "وإذا تأملنا تلك الصورة النقدية التي تهيأت لنا، على قلتها، وجدنا أن أكثر تلك الآراء يعتمد على الذوق الفطري عند أصحابها، وعلى تلك الصّور العامة التي مثلت للناقد عن الشعر والشعراء على الوجه الذي أسلفنا ودفع الى الحكم بالاستحسان الذاتي أو الاستهجان..."[1].

النقد غير المعلل في العصر الجاهلي:

فمن صور النقد التي وصلتنا عن العصر الجاهلي الأخير ما يلي:

1- ما تذكره المصادر القديمة من أن عرب الجاهلية كانت تحكم على بعض الأبيات بالتفرد فتقول: هذا أفخر بيت وهذا أمدح بيت وهذا أهجى بيت وهذا أعزل بيت.

2- ذكر حماد الراوية أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه كان مقبولا وما ردوه كان مردودا، وذكر أنّ علقمة بن عبدة لما أنشدهم قصيدته:

هل ما عملت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذن نأتيك اليوم مصدوم؟

قالوا هذه سمط الدهر: فلما عادوا أنشدهم قصيدته:

طحابك قلب في الحسبان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قالوا: هاتان سمط الدهر.

3- روى أبو عمرو الشيباني أن عمرو بن الحارث الفساني أنشده علقمة ابن عبدة قصيدته:

[1] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، الأنجلو مصرية، ص 75.

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

وأنشده النابغة:

كليني لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطئ الكوكب

وأنشده حسّان قصيدته:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحو مل[1].

ففضل حسّانا عليهم، ودعا قصيدته (البتارة)، لأنها بترت غيرها من القصائد.

4- رأى النابغة لبيد وهو غلام جاء مع أعمامه الى النعمان بن المنذر، فتوسم فيه الشاعرية، فسأل عنه فنسبوه، فقال له: يا غلام إن عينيك لعينا شاعر، فتقرض من الشعر شيئا؟ قال نعم يا عم، قال فأنشدني، فأنشده قوله: "ألم ترجع على الدمن الخوالي".

فقال له: "يا غلام أنت أشعر بني عامر، زدني، فأنشده قوله: "طلل لخولة في الرسيس قديم" فضرب بيديه على جبينه وقال: "اذهب، فأنت اشعر من قيس كلها".

5- ذكر الأصمعي أن قصيدة سويد بن أبي كاهل التي مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

كانت العرب تفضلها وتعدها في حكمها وأنها كانت تسمى في الجاهلية "اليتيمة".

[1] طه احمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 2008، ص24.

6- روى ابن عبد ربه في العقد الفريد وتبعه في ذلك ابن رشيق في كتابه العمدة، وابن خلدون في مقدمته أن العرب اختاروا قصائد من الشعر الجاهلي وكتبوها عاد الذهب في نسيج من صنع أقطاب مصر وعلقوها بأستار الكعبة تعظيما لتلك القصائد وإكبارا لها.

إذا عدنا مرة أخرى الى تلك النصوص التي عرضناها، فإننا نلاحظ أنّ القاسم المشترك بينهما هو أن ما نلمسه فيها من نقد يقوم على الذوق غير المعلل فنحن لا نعرف المعايير التي كان يحكم بها على أنه أمدح بيت أو أهجى بيت[1].

أو أغتزل بيت، فصاحب الحكم كان يبني رأيه على الانطباع الذي يتركه البيت في نفسه ساعة سماعه القصيدة، فالحالة النفسية التي يكون عليها المتلقي وطبيعة التجربة التي يعبر عنها البيت هي السبب في الاستحسان أو الاستهجان، فلو تغيرت ظروف المتلقي لغير -ربما- رأيه فيما استجاده، يدلنا على ذلك أننا نجد عددا جما من الأبيات في الموضوع الواحد قد حظى بصفة: أهجى بيت أو أمدح بيت أو أفخر بيت وهذا الاشتراك في الحكم النقدي الواحد بين مجموعة من الأدبيات في الموضوع الواحد يدّلنا على أن الحكم فردي، فهو يرتبط بشخص معين وجد البيت لديه استجابة من ظرف نفسي معين.

وحتى لو كان مصدر هذه الأحكام الجماعة فإن تعددها في الموضوع الواحد يدل على أنها لم تكن تستند فيما كانت ترسله من أحكام نقدية الى قواعد جمالية معينة، إنما كانت خاضعة في ذلك للانفعال الوقتي بالمسموع.

وإذا تأملت أيضا التسمية التي أطلقها قريش علي قصيدتي علقمة تبينت فيها التعميم واستنادها الى الذوق والانفعال الجمالي بما أنشد عليها من شعر، فليس هناك تحليل للقصيدة وإبراز لنواحي الجمال التي جعلتها

[1] المصدر نفسه، ص 25.

تستأهل لقب (سمط الدهر وسمطا الدهر)، إنما هو الانفعال الذي يتركه في نفس المتلقي في لحظة معينة نتيجة التقاء تجربة الشاعر مع تجربته، أما أن يكون الحكم مبنيا على موازنة دقيقة بين هاتين القصيدتين وبين بقية القصائد، فذلك ما لا نتوقع حدوثه، لأن مثل هذه الموازنة الذي يقف فيها الناقد على كل عناصر العمل الفني[1].

لا يغادر منها شيئا يتطلب أن تكون القصائد موضوع الموازنة حاضرة بين يديه حتى يتبين عناصر القوة، والجمال وما يناقضها في كل عمل على حدة وفقا للمعايير الفنية السائدة عند الجماعة، فيتجاوز بذلك الانطباعية في الحكم.

وفي هذا الفلك نفسه يدور تفضيل عمر بن الحارث الغساني قصيدة حسّان ابن ثابت على قصيدتي علقمة والنابغة الذبياني، فالسؤال الذي يحضرنا في هذا السياق هو: ما هي الأسس التي استند إليها الناقد في هذا المقام حتى أسبغ على قصيدة حسان لقب (البتارة)؟ فالتفضيل هنا وإن لم يأت مطلقا، لأنه يتصل بتقديم شاعر في قصيدة بعينها، لكن ناقدنا لا يشفع حكمه بأي مبرر لأدبي أ غير أدبي، سوى الانطباع الذي تركته هذه القصيدة في نفسه.

وإذا عدت أيضا الى ما قاله النابغة بشأن لبيد، لاحظت أنه جعله أشعر بني عامر من خلال قصيدة واحدة، ورفعه فوق شعراء قيس كلها بقصيدة أخرى، وهنا تتبين أن تعميم الحكم لا يقوم على فحص دقيق لنماذج شعرية كثيرة، سواء فيما يخص لبيد أم الشعراء الذين قدمه عليهم، وحتى لوقلنا: إن النابغة شاعر وناقد وإنه كان على بصيرة بشعر شعراء الجاهلية، فإن صنعة فلم يذكر لنا الظواهر الفنية وغير الفنية التي توفرت في قصيدة لبيد التعميم في حكمه تبقى قائمة، لأنه لم يسمع من لبيد سوى قصيدتين، ثم

[1] المصدر السابق، طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب...، ص26.

نلاحظ أنّ حكمه جاء غير مبرر، لكن يجب أن نضع في حسابنا أنّ النابغة لم يكن ناقدا فحسب، بل كان يجمع الى ذلك النبوغ في الشعر، فليس بعيدا أن يكون قد لمس بقوة بصيرته موهبة لبيد من خلال ما سمعه، ودليلنا على ذلك أنه توسّم فيه الشاعرية قبل أن يتكلم، لكن هذا كله لا يخرج مثل هذا النقد[1]. من التعميم ولا ينفي عنه غياب التفسير والتعليل، وإن كان من المستبعد أن يكون النابغة، بينه وبين نفسه، جاهلا القواعد التي يستند إليها حكمه أو أن يكون هذا الحكم قائما على محض الذوق الفطري الساذج.

أمّا عن تعليق الجاهليين مجموعة من مطولاتهم بأستار الكعبة، فإن ذلك إذا كان قد وقع حقا، فإنه يعد ضربا من النقد، لأن الاختيار– خصوصا إذا كان جماعيا، فإنه يعبر ضمنا من المثل الجماعية كان يشطوطها الناس يومئذ في الشعر، وهي مثل تتبين من الموارثة بين الأعمال المختارة، فالقاسم المشترك بينهما سيكون المعيار النقدي العام الذي اختيرت على أساسه، لكننا لا نجد تعليلا صريحا لاختيار هذه المجموعة دون غيرها، ثم إن مسألة هذا الاختيار في حد ذاتها تحوم حولها مجموعة من الشكوك، فلا يمكن إذن أن تعتمد عليها في استنباط حكم يقيني عن النقد الجاهلي، وفي انكارها حجج كثيرة منها أنّ المهتمين الأوائل بالشعر الجاهلي وشعرائه لم يذكروا هذه القصائد. كابن سلام الجمحي وابن قتيبة والجاحظ، والمبرد وسواهم، ثم إن رواتها اختلفوا في عددها، فلو كانت مكتوبة حقا، لما تباينت الآراء في عددها وفي أصحابها.

ولكننا إذا استبعدنا مسألة كتابة هذه القصائد وتعليقها بالكعبة، فإننا لا نستبعد أن يقع اختيار العرب على مجموعة من القصائد ويقدموها على غيرها وحينئذ يصبح هذا الاختيار نوعا من النقد، لكنه نقد غير معلل[2].

[1] المصدر السابق، طه احمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص27.

[2] المصدر السابق، طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ...، ص28.

النقد المعلل في العصر الجاهلي:

في هذا المضمار يعرض طائفة أخرى من النصوص النقدية التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي ثم نتأملها كلنا نجد فيها اجابة شافية عن سؤالنا، فمما انتهى إلينا من نقد جاهلي إضافة الى ما سبق عرصه ما يلي:

1- قال ابن قتيبة في ترجمة علقمة: "وسمي بالفحل لأنه احتكم مع امرئ القيس الى امرأته أم جندب لتحكم بينهما فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤا القيس:

خليلي، مرابي على أم جندب لتقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم أنشدها جميعا فقالت لأمرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟

قالت لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره، فقال: ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامقة، فطلقها، فخلف عليها علقمة فسمي بذلك الفحل"[1].

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص22.

2- يروى أن المسيب بن علس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فانشدهم:

الا أنعم صباحا أيها الربع واسلم نحيبك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله:

وقد اتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرّية مكدم

قال له طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان: "استنوق الجمل".

3- كانت تضرب للنابغة الذبياني بسوق عكاظ قبة حمراء من ادم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فكان أول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، أنشده مطولته التي أولها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي.

ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحا وأسيفنا يقطرن من نجده دما

ولدنا بني العنقا دواني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنها

فقال له النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن أنجبك"[1].

إذا أمعنا النظر في النصوص التي عرضناها أعلاه، فإننا نلاحظ أنّ السمة المشتركة بينهما هي توفر أغلبها على ضرب من التعليل، فأصحابها يحاولون دوما أن يقدموا بين يدي آرائهم ما يبرر أحكامهم وينفي سمة الانطباعية غير المعللة عنها، ففي النص الأول الذي حكمت فيه أم جندب لعلقمة على أمرئ القيس، نرى أن صاحبته لا تقف عند مجرد الحكم لأحدهما بأنه أشعر من الآخر مثلما رأينا ذلك في المجموعة

[1] المرزباني، الموشح، الطبعة السلفية بمصر، ص51.

الأولى من النصوص التي عرضناها، إنما راحت تبحث لحكمها عما يبرره، فلاحظت أن صورة علقمة في قصيدته أكمل من صورة فرس امرئ القيس. ففرس علقمة أدرك طريدته وصاحبه ثان من عنانه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا جزره، خلافا لأمرئ القيس الذي راح يزجره ويظربه ويستحثه على العدو كي يدرك طريدته، الأمر الذي أبرز فرس علقمة فرسا كريما نشيطا يعكس فرس امرئ القيس الذي ظهر كليلا بليدا، فكانت صورته لذلك أقرب من صورة منافسه من ذوي الجاهلين الذين يبحثون عن المثالية في كل شيء فعلى الرغم من أن أم جندب لم تستخلص رأيها من دراسة وافية للقصيدتين تشتمل كل ما فيها من صوّر ومعن وألفاظ، ولم تضع في حسابها الموافقة الحاصلة بين كثير من أبيات القصيدتين وأن زوجها كان مبتدأ اما علقمة فكان محتذيا وأن حكمها لعلقمة بالشاعرية لم يبين على نظرة شاملة تستوعب شعر الشاعرين، على الرغم من هذا كله، فإن ظاهرة التعليل واضحة في حكمها وإن اعتمد هذا التعليل على الجزئي.

ولا بد أن نشير الى دقة المقياس النقدي في موازنة أم جندب، فقد شرطت على المتنافسين قصيدتين من غرض واحد وعلى قافية واحدة، وروي واحد، فإذا صح اشتراط أم جندب مثل هذه المعايير في الموازنة، فإن ذلك سيكون دليلا كافيا "على أن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة وفطرة، بل كانت له أصول يعتمد عليها"[1].

لكن هذه المقاييس نفسها كانت سببا في إثارة الشكوك حول هذه القصة، يقول طه إبراهيم بهذا الشأن: "إنّ الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة على شيء من الدقة لا تتلاءم مع الروح الجاهلي في

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، ص21.

النقد الأدبي، هذا الى أننا نرتاب في أنّ جاهليا يدرك، الفرق بين الروي والقافية ونرتاب في أنّ هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي[1].

فهل كانت مثل هذه المصطلحات بعيدة عن أذهان الجاهلين حقا؟ إذا عدنا الى التراث الشعري الذي وصلنا من العصر الجاهلي، فإننا نرى بعض الشعراء يردد مثل هذه المصطلحات، فقد أورد ابن رشق لأمرئ القيس قوله:

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام جرئ جراد

فلما كثرن وعينه تجبر منهن شتى جياد

فأغزل مرجانها جانبا وأخد من درها المستجادا

ويضيق ابن رشيق: "هكذا في أكثر النسخ وفي بعضها (حراد) بلحاء مكسورة غير معجمة، و (شتى حيادا) بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء"[2].

وقد يذهب بعض المفترضين الى أنّ الأدبيات منحولة هي امرئ القيس بدعوى أنّ هناك أكثر من شاعر جاهلي بهذا الاسم، لكن المهم أن يكون المصطلح قد عرف بين الجاهليين. والقافية هنا جاءت كناية عن القصيدة على أساس أنّ القافية أصعب ما فيها.

وقد ورد مصطلح القافية أيضا عند كعب بن زهير وهو شاعر مخضرم في أبيات يقول فيها:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جرول

كفيتك لاتلقى من الناس واحدا تنخل منها مثل ما يتخل

1 نفسه، ص22.

2 ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص200.

يثقفها حتى تلين كعوبها فيقتصر عنها من يسيئ ويعمل

ويقول سويد بن كراع وهو مخضرم أيضا[1].

ابيت بأبواب القوافي كأنما أصيادي بها سربا من الوحش نزعا

أكالفها حتى أعرس فهدما يكون سجيرا أو بعيد فأهجما

وتلقانا عندهم مصطلحات أخرى غير القافية كالإقواء، فقد قال سوادة بن أبي حازم لأخيه بشر بن أبي حازم: "إنك تقوي، قال: وما الاقواء؟ قال: قولك[2].

ألم تر أن طول الدهر يسلي وينسي مثل ما نسيت جدام

ثم قلت:

وكانوا قومنا علينا فسقناهم الى البلد الثآم.

إنّ سوادة –وهو جاهلي يعرف الإقواء كما يعرف موضعه من القصيدة، فليس غريبا إذن أن يعرف الجاهليون أشياء ذات علاقة حميمة بفن حبيب الى نفوسهم.

وحتى لو افترضنا جهلهم لمثل هذه المصطلحات وأسس الموازنة كما في حكومة أم جندب، فإنه ليس عجيبا أن يدركوا ما أدركته أم جندب من فرق بين صورتي الفرسين، لأن بساطة الحياة الجاهلية ليس معناها انحطاط القدرات الادراكية وقوة التميز عندهم. وإلا فكيف نفسر فطنتهم لعلاقات دقيقة بين الأشياء وفي تشبيهاتهم

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص85 – 86.

[2] المصدر نفسه، ص168.

واستعاراتهم، ثم إنّ الصورة التي على أساسها قدّم علقمة على منافسه تتوافق مع مثالية الصورة عند الجاهليين.

وإذا تجاوزنا حكومة أم جندب الى النقد الذي وجهه طرفة الى المسيب بن علس، فإن ما يلفت نظرنا فيه أن طرفة عاب على المسيب وضع الألفاظ في غير مواضعها، فالصيعرية وهي صفة (للنوق) لا يجوز أن تستعمل في وصف (الجمل) معنى ذلك أنّ على الشاعر أن يكون على بنية من مدلولات الألفاظ وبالموضوعات التي تستخدم فيها، ومثل هذا النقد ليس نقدا انطباعيا ساذجا، إنما هو نقد بين إدراك صاحبه القيمة الدلالية التي أراد أن يثبتها في الأذهان على حرص هذه الشاكلة للألفاظ اللّغة في الشعر، وضرورة حرص الشاعر على إنزال كل لفظ في موضعه المناسب تلافيا للتعقيب واضطراب الصور المجاوزة الذي بمفهومها البلاغي في استعمال ألفاظ اللغة، قد يكون سببا في اضطراب الصورة التي أراد أن يثبتها في الأذهان، على هذه الشاكلة يتضح لنا أنّ طرفه برّر موقفه من شعر المسيب ولم يكتن بمجرد الانفعال به. أما التعليل والبعد عن الذاتية في نقد النابغة أبيات حسّان بن ثابت فأمر واضح.

فهو لم يكتف بالتقليل من قيمة البيتين المنقودين في القصيدة، إنما قدّم لذلك سببا[1].

فحسان كان في معرض الفخر بمحامد قومه، فعليه إذن أن يستخدم من المعاني ما يتناسب مع هذا الغرض، وألا يخرج في فخره عما درج الجاهليون على أن يفخروا به، فالموقف يقتضي منه أن يعتمد على المبالغة في الوصف، باللجوء الى ألفاظ ومعان تخدم الغاية التي قصد إليها، لذلك كان عليه أن يستخدم (الجفان) بدلا من (الجفنات) و(السيوف) بدلا من (الأسياف) و(البيض) بدلا من (العز) و(الاشراق) بدلا من (اللمعان) و(الجريان) بدلا من (القطر)، لأن هذه أخم معنى وأوسع مفهوما من تلك التي استخدمها،

[1] المصدر السابق، الشعر والشعراء، ص33.

وكان علية وفقا لقيم بيئة ومثلها العليا أن يفخر بآبائه وما كان لهم من سؤدد ومجد عريق لا أن يقتصر على الفخر عن ولد.

غير أن الشكوك أثيرت حول هذه القصة مثلما أثيرت حول قصة أم جنذب، فالأستاذ طه إبراهيم يرى أنّ الروح الجاهلية غائبة فيها: لأن الجاهلي في تقديره لم يعرف "جمع التصحيح وجمع التكسير وجموع الكثرة وجموع القلة، ولم يكن له ذهن علمي يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينهما ذهن الخليل وسيبويه".

ويضيف الى ذلك قوله: "ومثل هذا النقد لا يصدر الا عن رجل عرف مصطلحات العلوم وعرف الفروق البعيدة بين دلالات الألفاظ وألم بشيء من المنطق".

إنّ مثل هذا الكلام يوهم قارئه أنّ النابغة استخدم في نقده المصطلحات التي أشار اليها صاحبه، لكننا إذا أعدنا الى القصة كما وردت في مختلف المصادر القديمة، فإننا لا نجد فيها أيا من المصطلحات التي ذكرها أستاذ طه إبراهيم[1].

وغاية من هنالك أنّ النابغة قال لحسان: "أنت أشعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك"، فكأني بالمعقب على هذا النقد ستكثر على الجاهلين الذين كانوا ينطقون اللّغة سليقة أن يدركوا الفروق الدقيقة بين مفردات لغتهم والغريب في تقديرنا هو ألا يفرق بين مثل هذه الألفاظ في الاستعمال الذي لا يحتاج الى عقل فلسفي، إنما يحتاج الى حس لغوي دقيق وهو ما لم يعدمه الجاهليون.

ولعل ما يزيدنا يقينا من صحة نسبة هذا الحكم الى العصر الجاهلي أنّ النابغة حين أخد على حسان أنه لم يفخر عن ولده كان منسجما مع تصور الجاهلين لقيم الفخر، فالابن –كما يرون– يشرف بآبائه، والآباء تزداد شرفا به، لذلك كانت طريقة المدح عند العرب أن يجعل الشاعر.

[1] المصدر السابق، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص34.

"الممدوح يشرف بآبائه والآباء تزداد شرفا به، فيجعل لكل منه في الفخر حظا وفي المدح نصيبا" كما يقول القاضي الجرجاني في الوساطة.

أما النقد الذي توجه به أهل يثرب الى النابغة الذبياني والذي نجد ما يماثله عند سوادة بن أبي حازم في نقده شعر أخيه بشر، فإنه بعيد هو الآخر عن الأحكام التي تقوم على الإنطباع الذاتي الذي يترتب عنه غالبا التضارب حول آراء النص الواحد، فهذا النقد يتعلق بظاهرة إيقاعية في الشعر تنبؤ عنها أذن العربي التي تعودت انسجام النغم في نهايات الأبيات، فالاختلال في الحكم الإيقاعي الذي يعود الى الظهور في القصيدة بعد فترات زمنية متساوية ليس مما يصعب على الجاهلين إدراكه، لأن جمال الإيقاع واستواءه هو أحد العوامل التي جعلتهم يتعلقون بالنظم أكثر مما يتعلقون بغيره من ألوان الكلام كما لاحظ ابن رشيق في العمدة، ويمكن أن نقول: إن ما عابه أهل يثرب على النابغة وسوادة بن أبي حازم على أخيه بشر، يعد حكما موضوعيا[1].

بعيدا كل البعد عن الذاتية والهوى، لأنه يحتكم الى قاعدة مقررة في الشعر يومئذ هو وحدة الروي وحركته في القصيدة كلها.

و لا تخلوا أيضا أحكام ربيعة بن حذار من تعليل قدمه بين يدي رأيه في أسفار الزبرقان و المخبل السعدي و عبدة بن الطبيب و عمرو بن الأهتم ، والملاحظة الأولى التي تلفت النظر في نقده هي علاقة المصطلح الذي استخدمه بالبيئة الجاهلية ، فالثياب الفاخرة والبرود الموشاة كانت معروفة لديهم ، فقد كانت تأتيهم من اليمن الذي اشتهر بها ،كما أن دقة التمييز بين لحم ناضج وآخر أسخن فحسب ، شيئ لا يعد مه قوم كانت لحوم ابلهم و أغنامهم تمثل الغذاء الأول بالنسبة اليهم ، وقل مثل ذلك بالنسبة الى (المزادة)

[1] المصدر السابق، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص35.

التي كانت تحفظ لهم الماء الذي كان له أثره الخطير في حياتهم ، اذ كانوا ينتقلون في طلبه من موضع الى موضع .

واذا جئنا الى نوع النقد الذي وجهه ربيعة بن حذار الى أشعار هؤلاء الشعراء، بدا لنا لأول وهلة نقدا انطباعيا غير معلل يقوم على الذوق ليس الا ، لكننا اذا تأملنا جيدا ووضعنا في حسابنا أنه يخاطب قوما ذوي دراية بالشعر و عناصر قوته وضعفه ، علما أن الناقد هنا لم يرسل كلامه ارسالا استجابة لانفعال ساذج أثارته لديه هذه النصوص، انما قدم لأصحابها الدليل على صواب حكمه ، فمصلحة تقويمه لما عرض عليه من شعر، أن شعر عمرو بن الأهتم لألفاظه البراقة وأساليبه الخلابة ، قد يعجبك لأول نظرة، سوى أنك اذا أطلت النظر فيه التأمل وأعدت قراءته و سبرت معانيه، لم تجد وراء جمال لفظه شيئا [1]. ذا بال، أما شعر الزبرقان، فان متلقيه لا يستجيده مثلما لا يستجيد الأكل لحما غير ناضج أسخن مجرد اسخان، فشعره كهذا النوع من اللحوم، فهو غير ناضج إنه فج التجربة، لذلك فان الذوق ينبو عنه، لافتقاره الى الجزالة و حرارة العاطفة التي تحقق له شدة الأسر وشعر المخبل السعيدي شعر متوسط لا يرقى بصاحبه الى مرتبة الفحول ولا ينحط الى درجة كلام المتشاعرين، أما شعر عبدة بن الطبيب ففيج جزالة وإحكام وقوة أسر، فلا يرى الناظر فيه ضعفا ولا يلمح في أساليبه أو معانيه وهنا، فهو لذلك أشعر من أصحابه.

ان مثل هذا النقد، كما هو بين يتضمن تعليلا على نحو لا يغيب مقصده على شاعر عاش في بيئة يعرف أصحابها حق المعرفة دلالة المصطلحات التي استخدمت في تقويم شعر هؤلاء الشعراء.

[1] نفسه، ص 36.

و يمكننا أن نعدم صورة هذا النقد الذي لم يكن كما رأينا نقدا انطباعيا ساذجا بنصوص أخرى توفر فيها أيضا ما يدعوا الى تقييد الأحكام العامة التي أطلقت في حق هذا النقد، قال ابن قتيبة: «كان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة أشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكم، وكان زهير يسمى كبرى قصائده الحوليات»[1].

وفضلا عن هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة تحدث شعراء آخرون عن ترديد النظر في أشعارهم وما كانوا يصرفونه من وقت طويل في تهذيبها و تقويم منآدها، فاذا كانت مرحلة التنقيح التي يقوم بها الشاعر لا تعقب ابداع القصيدة مباشرة انما تأتي في أغلب الأحوال عن زمان نظمها كما يقول حازم القرطاجني، فمعنى ذلك أن الشاعر يواجه عمله خلالها مواجهة الناقد ليصلح ما فيه من وهن ويخرجه مستويا بريئا من الضعف ولا شك أن عمل الشاعر حينئذ يشمل جميع جوانبه (شكله ومحتواه)، ليبلغ به مستوى الجودة الفنية الذي يطمح اليه، أي أنّ نظرته الى قصيدته ستكون نظرة شاملة تعنى بجميع عناصره في علاقاتهما المتبادلة داخل القصيدة كلها ، محاولا أن يخلق بينهما ضربا من التوافق والانسجام ، حتى لا تبدوا متدافعة متنافرة، بعبارة أخرى أن الشاعر الناقد في مرحلة التنقيح سيتخطى النظرة الجزئية التي تحكم على الأثر الفني من خلال بيت واحد أو مجموعة قليلة من الأبيات، كما أن نظرته التي سيكون قوامها الذوق الناضج المدرب، ستتجاوز الانطباعية الساذجة التي تحكم النص بالجودة أو بالرداءة انطلاقا من الانفعال الآني به، لأن مواجهة العمل الفني في هذه المرحلة لا تخضع للذوق و الاحساس و حدهما ، بل يشارك العقل فيها بقسط وافر ، فيقول الجاحظ : « ومن الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كرتيا

[1].المصدر السابق ، ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، ص 37.

وزمنا طويلا ويردد فيها نظره ويحيل فيها عقله زماما على رأيه (عنده) ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه واحراز ما خوله الله من نعمته»[1].

و يمكننا أن نتلمس آثار هذه المرحلة خاصة في أعمال أولئك الشعراء الذين عرفوا بالحرص الشديد على التنقيح ، فاذا أمعنا النظر مثلا في معلقة زهير بن أبي سلمى الذي كان يولي هذه المرحلة أهمية بالغة ، فان ما نجده فيها من انسجام بين عناصرها ومن تماسك و احكام في نسجها يقوم دليلا على شموليته عمل الناقد (الشاعر) في مرحلة التهذيب، و هو ما يدعوا الى اعادة النظر في الأحكام التي تنسب النقد الجاهلي كله الى الجزئية ، وهناك نص آخر ورده صاحب الوساطة يمكن أن يساعد كثيرا في توكيد القناعة التي كونتها لدينا المجموعة المتقدمة من النصوص ففي سياق الموازنة بين القدماء ، و المحدثين في استخدام البديع يقول القاضي الجرجني : « و كانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى و صحته و جزالة اللّفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب ، وبدّه فأعزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونطام القريض»[2].

انما يهمنا في هذا النّص ليس المصطلحات التي يظهر أنها مستحدثة، انما يهمنا فيه نسبة مقاييس واضحة في تقويم الشعراء الى العرب، والجرجني هنا وان كان لا يقيّد نصه بحقبة زمنية معينة، فإنما نستنشقه من السياقات التي كانت تأتي فيها كلمة (العرب) عند الجرجاني وعند غيره من نقاد الأعصر التالية للعصر الجاهلي هو أن اللفظ حين يستخدم يشار به غالبا الى العرب الأول (عرب ما قبل الاسلام)، فحين قال أبو تمام متغزلا:

[1].الجاحظ ، البيان و التبين ، ج 2 ص9

[2]علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي و خصومه، ص 33-34.

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل.

قال الآمدي معقبا: «إنّ هذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطفت به العرب»[1].

ان الآمدي كان ينتقد أبا تمام على خروجه في لفظه و معناه عما كان مألوفا عند الجاهلين ومن تقيلهم، معنى ذلك أن لفظة (العرب) في هذا السياق المراد منها عرب الجاهلية الذين كانوا أنصار عمود الشعر – ومنهم الأمدي – ستبدي الحرص على ربط الحركة الشعرية المحدثة بالنموذج الفني للقصيدة عندهم، و قال ابن رشيق أيضا يتحدث عن نشأة الشعر الجاهلي : وكان الكلام كله منثورا ، فاحتجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها و طيب أعراقها و ذكر أيامها الصالحة وأوطانها النارحة وفرسانها الأمجاد، وسمائها الأجواد لتهز أنفسها الى المكارم وتدل أبناءها الى حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلمّا تم لهم وزنه سموه شعرا، لأنهم شعروا به أي فطنوا»[2].

لا يعنينا هنا أن نناقش ابن رشيق في تصوّره نشأة الشعر، انما يفيدنا أنه استخدم لفظة (العرب) للدلالة على عرب ما قبل الاسلام.

واذ قد اتضح لنا أن لفظ (العرب) ينصرف عند أمثال هؤلاء النقاد للدلالة على العرب الأول، فإننا اذا رجعنا الى نص الوساطة، فانه يمكننا أن نستخلص منه أحكام الجاهليين لم تكن كلها انطباعية تعتمد فحسب على الذوق الفني الفطري، انما كانت لهم مقاييس اذا أمعنا فيها النظر رأينا أنها لا تتناقض مع طبيعة حياتهم التي ذكرنا قبلا أنها لم تعرف التعقيد الحضاري الذي سيعرفه المجتمع العربي في مراحل تالية، كما أنها تنسجم مع طبيعة الحياة العقلية للعرب في الفترة التي تتحدث عنها ، فقوة لغة الشعر و جزالتها شيء يتوافق مع طبيعة البيئة الجاهلية التي كانت تتميز بالصعوبة وخشونة العيش وشظفه، ونفس الأمر

[1] محمد محي الدين عبد الحميد، الموازنة بين الطائين للآميدي، ص 131.

[2] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، ج1، ص 20.

يمكن أن يقال عن ترك الاسراف في الصنعة البديعية التي ستصبح درجة في العصر العباسي، وفي الفترات التي تأتي بعده، لدواع حضارية، و لتصور للابداع أملته عوامل فكرية وعقيدية، فبساطة الحياة عند الجاهليين لا تتوافق مع المبالغة في التعقيد و الاسراف في الزخرفة البديعية ، فحتى ما نلمسه من ميل الى الصفة عند أصحاب المدرسة الأوسية أو في قصائد متفرقة لشعراء آخرين، فإنه لا يتعارض مع طبيعة حياة الجاهليين وطبيعة الذوق الفني الذي صقلته هذه البيئة ونمته التجارب الفنية الكثيرة التي كانت بمنزلة الصوى على الطريق لشعراء هذا العصر والمقاربة في التشبيه نفسها تعتبر عن نفور عرب الجاهلية من الغموض والتعقيد لأن البعد الشديد بين المتشابهات والبحث عن العلاقات الشديدة الحق بين الأشياء، يحتاج ادراكه الى جهد ذهني كبير خلاف للاقتصار على ما يسهل على الحواس ادراكه ، كما أنه شرف المعنى الذي يراد به «اختيار الصفات المثلى اذا وصف الشاعر أو مدح بدون مبالاة بالواقع ولا بالصدق»[1].

ينسجم مع ميل الجاهليين الى التحلي بالمثالية في كل شيء، والشجاعة والكرم وفي سوى ذلك من القيم التي فرضتها عليهم بيئتهم، فالمقاييس التي عرضها الجرجاني، والتي قلنا انها لا تتعارض مع طبيعة حياة عرب ما قبل الاسلام، ولا مع المستوى الفكري الذي كان يطبع حياتهم العقلية، تقدم دليلا آخر على أن النقد عند العرب في العصر الجاهلي لم يكن في درجة السذاجة التي وصفه بها كثيرا من الدارسين المحدثين.

وخلاصة ما تقدم أن النقد عند الجاهليين صنفان، لون قائم على الانفعال الوقتي بالأثر الفني، فالناقد قد لا يهتم فيه بالبحث عما يبرر حكمه، وهذا النوع هو الذي تصدق عليه أحكام الدارسين التي أوردناها في مقدمة كلامنا على النقد غير المعلل.

[1] غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، د.ط، د.ت، ص 11.

وهناك بالإضافة الى ذلك لون آخر من النقد كان أصحابه يقدمون بين يدي آرائهم الحيثيات التي تقوم دليلا على صحتها في تقديرهم، لكننا نلاحظ مع ذلك أن هذا الصنف الأخير من النقد لم يكن في كل الأحوال يتناول القصيدة تناولا شاملا، بل كثيرا مما جاء الحكم فيه مبنيا على مجموعة من الأبيات، ويبدوا أن للشفوية أثرا في ذلك، لأن النظر الى كل عناصر القصيدة وأقسامها عند تقويمها ،يتطلب أن تكون مكتوبة ، و الكتابة مع أنواعها في العصر الجاهلي فإنها لم تكن منتشرة هذا الانتشار الواسع التي تقدر معه في متناول العام و الخاص، لأسباب ليس هنا محل الخوض فيها ثم اننا لا نجد في هذا النقد فكرا عميقا ولا قدرة فائقة على التحليل والموازنة ،انما كان ذلك بقدر ما أتاحته طبيعة الحياة العقلية عندهم ،لكن الصورة التي تكونت لنا عنده تدعونا الى الوقوف بحذر شديد ازاء الأحكام التي قللت من قيمة هذا النقد ونقن عنه أي آثر للتعليل و للنظرة الشاملة الى النص كقول د/محمد مندور: « فالتعليل أمر عقلي لا يستطيع الا تفكير مكون ،وكل تعليل لا بد من استناده الى مبادئ عامة والعرب لم يكونوا قد وضعوا بعد شيئا من مبادئ العلوم اللغوية المختلفة التي لم تدون الا في العصر العباسي ... فقد ظل النقد في هذه المرحلة احساسا خالصا ولم يستطع أن يصبح معرفة تصح لدى الغير بفضل ما تستند اليه من تعليل، وهذان العيبان واضحان في كثير من الأحكام النقدية المروية في كتب الأدب ،فهي لا تستند الى تحليل للنصوص أو الى نظر شامل فيما قال هذا الشاعر أو ذاك[1].

ان مثل هذا الحكم الذي يطغى عليه التعميم لا يصدق حسبما قدمنا الا على قسم من النقد الجاهلي، وهو الذي تناولناه تحت عنوان النقد غير المعلل، أما القسم الذي كنا بصدده، فانه يقلل من حكم الدكتور مندور، كما توفر فيه من خصائص وان تكن بعيدة عن النقد المنهجي الذي يبحث عنه –أي الدكتور مندور– فإنها لم تكن على النحو الذي وصفه.

[1]. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ص17-18.

الفصل الثاني: النقد في صدر الإسلام

أولا: حالة الشعر في صدر الإسلام.

ثانيا: الأسس النقدية في صدر الإسلام.

ثالثا: طبيعة النقد الأدبي في صدر الإسلام.

حالة الشعر في صدر الإسلام:

المراد بصدر الإسلام الفترة الزمنية الممتدة بين البعثة المحمدية المباركة وبين قيام الدولة الأموية، والمتطلع إلى دراسة الحركة النقدية في هذه الحقبة يستوجب عليه بأن يمعن النظر في حال الأدب- والشعر خاصة- في هذه الفترة التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي الفتي، وعرفت انقلابا كبيرا في المفاهيم والقيم والتصورات، فهل استمر ولع العرب وتعلقهم بالشعر على النحو الذي كانوا عليه في العصر الجاهلي الذي كانت الحياة فيه تقوم على أسس مغايرة تمام المغايرة للأسس التي هدف الإسلام إلى ترسيخها وإقامة الحياة الجديدة عليها، أم أن المجتمع الجديد تنكر لهذا الفن الأدبي الذي نشأ في ظل ظروف أضحى تعديلها تعديلا عميقا أمرا لازما تحتمه الغاية التي أقرها المولى عز وجل للإنسان في دنياه وأخراه، وغط العلاقات التي أقرها بين الإنسان وخالقه وبينه وبين نفسه، وبين غيره من الناس في المجتمع؟

إن الوقوف على حالة الشعر في هذه المرحلة التي تقترن فيها الموازين والقيم أمر لا يمكن تجاوزه في دراسة الحركة النقدية في ظل عهد ليس بأي حال امتدادا للعهد السابق من حيث نظرته إلى الأشياء وتقويها، وهو ما يجعل تغيير النظرة إلى الشعر أمرا واردا، فيكون لذلك حتما أثره على النقد الأدبي بالنظر إلى الوشائج القوية القائمة بينه وبين الأدب، بناء على أن موضوع النقد هو الأدب نفسه. فليس يعقل إذا ان نتحدث عن نقد أدبي ..... عن الأدب الذي هو موضوع النقد، قال أحمد الشايب:" وإذا كان موضوع الأدب هو الطبيعة والإنسان، فإن موضوع النقد الدبي هو الدب نفسه، أي الكلام المنثور أو المنظوم الذي يصور العقل والشعور"[1].

من ثم كان الحديث عن حال الحركة الشعرية في صدر الإسلام:" هو المقدمة الطبيعية للحديث عن النقد في هذه المرحلة". وسنحاول الوقوف على نشاط الحركة الشعرية أو ركودها في العهد الجديد من خلال بحث موقف الإسلام

[1] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، د ط، د س، ص 118 .

من الشعر بحسب بنية ثقافية تعبر عن مجتمع جاء الإسلام ليغيره تغييرا جذريا يقدم بدائل عن أنماط التفكير التي كانت سائدة فيه قال احمد أمين:"كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة أخرى، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس"[1].

وهنا يأتي السؤال الذي ستكون الإجابة عنه محور كلامنا في هذا المقام، ومؤدى هذا السؤال: هل ألغى الإسلام الشعر إلغاء كاملا وقدم بديلا ثقافيا عنه يتماشى والغاية التي رسمها للمجتمع البشري؟

بادئ ذي بدء ينبغي أن نؤكد أن موقف الإسلام من القيم والمثل والممارسات التي كانت سائدة في العهد السابق لم يكن موقفا واحدا، فقد استبقى بعض ما كان يتماشى مع روحه، وهذب ما أمكن تهذيبه، وألغى كثيرا مما كان متنافيا مع الصورة المثلى التي أرادها الله عز وجل للمجتمع، وليس في هذا ما يتعارض مع قولنا بجذرية التغيير الذي صاحب الإسلام، لأن المنهج الذي جاءت به الدعوة الجديدة منهج إلهي، وليس مجرد ترميم أو إصلاح جزئي لأمر كان قائما، فهو بعبارة أخرى منهج هدف إلى تغيير الذهنيات والعلاقات والتصورات، وفاقا لمصلحة البشرية جمعاء، فقد وصف رب العزة دستور المجتمع الإسلامي الجديد فقال:" إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"[2].

وفي هذا الإطار، وانطلاقا مما ورد في القرآن عن الشعر والشعراء واهتداء بمواقف الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته، نحاول أن نحدد موقف الإسلام من الشعر.

إذا عدنا إلى القرآن الكريم، فإننا نلاحظ أن الله عز وجل ينفي نسبة الشعر والشاعرية إلى رسوله الكريم في أكثر من آية، قال جلت قدرته في سورة (يس):" وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين"[3].

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط11، ص75.

[2] سورة الإسراء، الآية: 9.

[3] سورة يس، الآية: 69

وقال في الصافات:" ويقولون إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدّق المرسلين"[1].

وجاء في سورة الحاقة:" إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين"[2].

فهل في الآيات يا ترى دعوة إلى رفض الشعر والتخلي عنه؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن ندرك بأن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن معجزة بيانية من باب أول، فالعرب كانت لهم قدم راسخة في الفصاحة والبيان، فأراد الله تعالى أن يتحداهم في أبرز شيء عرفوا به ويبين عجزهم حتى في مضمار كانوا فرسانه، فأنزل القرآن بلغتهم، لكن بأسلوب لا يمكن أن يجاروه، لذلك وحين بهرهم ما فيه من بيان شبهوه بأرقى شيء لديهم من حيث الفصاحة والبيان وهو الشعر وألصقوا صفة (الشاعرية) بحامله إليهم، ونسبوه إلى السحر حين أحسوا للقرآن الذي جاء به تأثيرا ذكرهم بتأثير الشعر الذي كانوا يشبهون فعله بفعل السحر، قال ابن رشيق:" ألا ترى كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم؟ فقالوا: هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك"[3].

وحينئذ نرى الله جلت قدرته يتحداهم مرة أخرى بأن دعاهم إلى الإتيان بعشر سور من مثله إن كان كلاما مفتريا كما يزعمون، قال تعالى:" أم يقولون افتراه قل فآتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو، فهل أنتم مسلمون"[4].

1 الصافات، الآيتان: 36 – 37.

[2] الحاقة، الآيات، 40، 41، 42، 43

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الخليل، ط5، 1981، ج1، ص 21

[4] سورة هود، الآيتان، 14 – 13.

ويذهب في تحديهم إلى أبعد من ذلك فيدعوهم إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، ليؤكد لهم أن القرآن ليس من صنف الكلام الذي ينظمه شعراؤهم، فيقول عز وجل في سورة البقرة:" وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، فآتوا بسورة من مثله"[1].

وإذ قد ثبت عجز المعاندين والمكذبين عن مضاهاة القرآن في البيان، فإنه تعالى يؤكد لهم أنه لو تعاضد الإنس والجن وتعاونوا على أن يأتوا بما يشبه القرآن، فإنهم لا يبلغون أمانيهم:" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[2].

من هنا يتضح أن الآيات التي نزهت الرسول صل الله عليه وسلم في قول الشعر كانت تهدف إلى ما يلي:

1-إثبات أن القرآن كلام الله وليس بكلام بشري، وقد ثبت ذلك بعجز المعاندين عن محاكاته والإتيان بكلام يشبهه.

2-إن الرسول عليه الصلاة والسلام نبي انزل الله عليه القرآن وبعثه إلى الناس ليهديهم إلى الحق، فهو لذلك ليس بشاعر كما وصفه الكفار حين بهرهم ما تلاه من آيات وسور قرآنية.

3-إن الشعر-الكلام البشري-مهما بلغ من الإحكام والإتقان فإنه يقع دون القرآن في الفصاحة والبيان.

وبناء على هذا يتضح أن المراد من هذه الآيات ليس معاداة الشعر بوصفه شكلا من أشكال التعبير الفني والدعوة إلى التخلي عنه، وليس فيها أيضا ما يفض من الشعر من حيث شعر، قال ابن رشيق:" ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر، لكانت أميته غض من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد"[3].

[1] سورة البقرة، الآية، 23.

[2] سورة الإسراء، الآية 11

[3] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص21

لكن قد يعترض معترض على هذا بقوله تعالى في سورة الشعراء:" والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون"[1].

إن هذه الآيات الكريمة الثلاث: لا تذم الشعر من حيث هو شعر، فالخطاب فيها يخص الشعراء، وليس الشعر في حد ذاته، فهي تنكر على الشعراء فيما يقولون الكذب وإغواء الناس بالأباطيل من الكلام، وعليه يكون الشعر المنبوذ في الإسلام هو الذي يحيد عن الحق ويسير في الاتجاه المناقض للمنهج الذي رسمه رب العالمين للناس، يوضح ذلك الآية الرابعة التالية للآيات السابقة والتي يستثني فيها المولى تعلى من الوصف المتقدم صنفا من الشعراء، وذلك حيث يقول عز وجل:" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثير، وانتصروا من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[2].

فالآية كما هو بين تنزه المؤمنين من الشعراء من النعوت السابقة، لأن الذي يملأ جوانحهم وتشربه قلوبهم، لا يمكن أن يركبوا سبيل الغواية والضلال، أو يقولوا غير الحق وما يشغل الناس بما لا ينفعهم ويبث بينهم التفرقة والشقاق وكل ما تنطبق عليه الأوصاف التي نزّه ربّ العالمين عنها المؤمنين من عباده.

فالتنعيف والذم في الآيات التي سبقناها من سورة الشعراء، لا ينسحب على الشعراء مطلقا، إنما يخص الضالين منهم الذين يخوضون في الأباطيل وفيما لا ينفع الناس ويقولون ما ليس بحق، وهذا ما يبينه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حين جاءه بعض الشعراء المسلمين، فقالوا إن الله انزل في الشعراء ما أنزل، فقال:" إن المؤمن من يجاهد بسيفه

[1] سورة الشعراء، الآيات، 224،225،226 .

[2] سورة الشعراء، الآية 227 .

ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل"[1]. وقال في سياق أخر:" ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم"[2].

إذا صحت هذه الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يصبح الشعر بالنسبة إلى المسلمين ليس مباحا فحسب، بل هو واجب في مناضرة الدعوة كما يقول خثير عبد ربي[3].

وتزيد القضية وضوحا بعرض مواقف أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من الشعر من شانها أن تنير حيالنا السبيل لإصدار حكم على الحركة الشعرية في هذه الحقبة، فبالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ففضلا عما أوردناه له قبلا مما يبين خطورة دور الشعر نصرة الدعوة، فإنه ينسب إليه كلام آخر كثير يكشف عن تأثره بالشعر وإعجابه به وتقديره قيمته وإدراكه العميق مكانته من نفوس العرب، فقد روى ابن رشيق في عمدته أنه قال عليه الصلاة والسلام:" لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[4].

ففي هذا الحديث إقرار صريح باستحالة ترك العرب الشعر، فمن المستبعد إذا أن يحرمه عليه الصلاة والسلام، فما كان لمن قال:" إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا"[5].

أن يدعوا كما يقول د/ بدوي طبانة" إلى تعطيل ملكة من الملكات الفنية التي اشتهر بها قومه، ويقضي على الفن الذي نبغ فيه العرب، وقد عرف بعد أثره في نفوسهم كما عرف بعد أثره في نفسه وفي نشر دعوته، ولكن غاية ما يقال في هذا الشأن أنه عمل على توجيه تلك الملكة توجيها يبعد فيها عن جاهليتها وضلالها القديم"[6].

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، لبنان، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مصورة عن طبعة دار الكتب، د. ت، ج 4، ص 150-153.

[2] المصدر نفسه، ص 142.

[3] خثير عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الإسلامي والأموي، دراسات معمقة، مخطوط بجامعة الجزائر ص 52.

[4] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص30 .

[5] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي،1984، ص 13.

[6] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، المكتبة الأنجلو مصرية، د ط، 1975، ص 10.

ويزيد موقفه عليه السلام من الشعر وضوحا، تنويهه بشعراء الدعوة أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وتذكر له في هذا المجال أقوال فيها دعوة صريحة لهم للرد على شعراء المشركين والمنافحة عن الدين، فقد مر معنا أنه قال لشعراء الأنصار:" ما يمنع الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم" ويروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم:" قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى"[1].

وحسب ما جاء في أحاديث أوردتها بعض الكتب الأدبية وروتها بعض كتب الحديث أيضا بشأن إثبات دور الشعر في الدفاع عن الرسالة وعن صاحبها ضد المشركين، فإنه كان عليه السلام يعد شعراء الدعوة بثواب الله عز وجل، لمنافحتهم على دينه بألسنتهم، فقد روى أنه قال لكعب بن مالك:" ما نسى ربك وما ربك نسيا شعر قلته" قال:" وما هو يا رسول الله"، قال:" أنشده يا أبا بكر" فأنشده أبوبكر رضوان الله عليه:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب.[2]

وحين هجا أبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم (من الشعر، فقد روت أسماء)

ردّ عليه حسان بن ثابت بقوله:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له النبي الكريم:" جزاؤك عند الله الجنة يا حسان"، ولما قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال له:" وقاك الله حر النار" فقضى له كما يقول ابن رشيق" بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره"[3].

[1] الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين، الأغاني، ج 4، ص 11.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 14

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص53.

وكان هو نفسه عليه الصلاة والسلام يتذوق الشعر ويحسن الاستماع إليه ويرتاح له ويتأثر به ويثيب عليه، كما يفهم من مجموعة من الأخبار سيقت بشأن بيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر، فقد روت أسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما-كما يذكر ابن رشيق-أن الزبير بن العوام مر بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم غير آذنين لما يسمعون من شعر فقال:" مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن القريعة؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده"[1].

وتتبين قيمة الشعر ومكانته عند الرسول عليه السلام أيضا من بنائه منبرا لحسان بن ثابت في المسجد ينشد عليه الشعر كما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنهما وتزيد المسألة بيانا من خلال شاهدين اثنين يبينان حسن تذوقه صلى الله عليه وسلم الشعر، وعمق تأثيره في نفسه، والشاهد الأول هو قصة إسلام كعب ابن زهير الذي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم متنكرا تائبا مستأمنا، فلما أمنه بعد ان كان قد أهدر دمه، انشده قصيدته التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

حتى أتمها فلم ينكر عليه النبي قوله، بل تجاوز عنه كما يقول صاحب العمدة ووهب له بردته[2].

ويضيف عبد القاهر الجرجاني أنّه لما بلغ قوله:

إن الرسول ليف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فمازال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

[1] المصدر السابق، ج1، ص28 .

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص24 .

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل

شم العرائين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل.

أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن اسمعوا"[1].

أما الشاهد الثاني فتقود إليه حادثة مقتل النضر بن الحارث الذي كان من أشد أعداء الرسول المجاهرين بعداوتهم له، وكان إذا تلا النبي القرآن قال لقريش: ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين، وقد أسر في غزوة بدر الكبرى فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه، ويروى أن قتيلة بنت النضر هذا عرضت له عليه السلام وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه فأنشدته قصيدة منها هذه الأبيات:

أمحمد ها أنت نجل نجيبة من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المقيظ المحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة واحقهم إن كان عتق يعتق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته"[2].

فالشاهدان يوضحان بما لا يدع مجالا للشك أن الرسول الكريم، كما قدمنا، كان يحسن الاستماع للشعر، وكان يتذوقه ويتأثر به، فضلا على أنه لم ينكر على كعب أن يقدم اعتذاره شعرا وأن يضفي إليه باهتمام وهو ينشد، فإنه وهب له بردته، وتضيف رواية أخرى أنه أعطاه معها-أي مع البردة-مائة من الإبل[3].

فهل يقدم على مثل هذا الفعل من كان بليد الإحساس لا يتذوق الشعر ولا يقدره؟

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 19.

[2] ابن الرشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 56،57.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 24.

والأثر العميق الذي خلقته في نفسه أبيات قتيلة يقرر هذه الحقيقة أيضا، فقد اهتز لما في أبياتها من عتاب ولوم واسترحام، فتمنى لو تأخر عن إقامة الحد على النضر ومن عليه بالعفو، وفي رواية صاحب السيرة أنه استمع إليها وعيناه تدمعان.[1] من شدة التأثر بما في الأبيات من عاطفة كان لها وقع شديد في نفسه عليه الصلاة والسلام.

على أن تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بشعر قتيلة لا يدل على أنه أحس بالخطأ في إقامة الحد على النضر، فالنضر اقترف ما يستحق عليه الجزاء، وقتله كان حقا، ولكن سمو أخلاقه عليه السلام هو ما جعله يتمنى لو قدم العفو على إقامة الحد، مثلما فعل في كثير من المواقف، فكثيرا ما عفا عمن أذوه وأساءوا إليه قبل الفتح وبعده.[2]

ويمكننا أن نؤكد الواقع الحسن للشعر في نفس النبي الكريم واستحسانه له وتقديره منزلته باستنشاده إياه أيضا، وفي هذا المضمار يقول عبد القاهر الجرجاني:" وأما استنشاده إياه فكثير من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استسقى فسيقى قول أبي طالب:

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيق به الهلال من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل.[3]

وجاء في دلائل الإعجاز أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يوما لحسان بن ثابت:" أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإنّ الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته" فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة:

علقم ما أنت إلى عامر الناقص الأوتار والواتر

[1] حثير عبد ربي، النقد الدبي في العصر الإسلامي والأموي، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 50

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص14

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا"[1].

إن هذه الأخبار مجتمعة تبين أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر لم يكن موقف رفض ومعاداة له، على الرغم من أنه لم يؤلفه مصداقا لقوله تعالى:" وما علمناه الشعر وما ينبغي له"[2].

قوله:" لإن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له أن يمتلئ شعرا"[3].

وقال أيضا: لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبعض إلى الشعر"[4].

فإذا تناولنا هذين الحديثين بمعزل عن موقف الرسول من كل ما كان يعرض عليه من شعر، وبمنأى عن مفهومه للشعر، فإننا سنلمس تناقضا صارخا بين مضمونها وبين ما سبق أن عرضناه، غير أن هذا التعارض سيؤول إذا رأينا الرسول صل الله عليه وسلم ينكر بعض الأشعار التي كانت تنشد عليه كما رأينا حين أنشده حسان قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة، وأنه كان يقول:" إنما الشعر كلام مؤلف، ما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[5].

وقال أيضا:" إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب"[6].

[1] المرجع السابق، ص 16.

[2] سورة يس، الآية 69.

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة، ج1، ص 31، 32 .

[4] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان–، دط، (2010/1431)، ص 43 .

[5] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص27.

[6] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

معنى هذا أن الشعر الذي بغضه صل الله عليه وسلم والذي فضل عليه امتلاء جوف المرء قيحا، هو الشعر الخبيث الذي يخالف تعاليم الإسلام والمثل التي جاء بها والذي يغلب على قلب صاحبه ويملك عليه نفسه حتى يشغله عن دينه على حد قول ابن رشيق في شرحه حديث امتلاء الجوف القبيح[1].

ومؤدى هذا كله أن الرسول صلى الله عليه وسلم" إذ يذم الشعر لا يذمه على إطلاقه، وإنما يذم نوعا خاصا منه، هو ذاك الشعر الذي يحافي روح الإسلام وتعاليمه، ويباعد بين العرب ويفرق كلمتهم، ويذكي فيهم روح العصبية بكل أنواعها وآثامها"[2].

وحينئذ يكون موقف الرسول الكريم من الشعر مطابقا لموقف القرآن منه على النحو الذي بيناه.

وإذا تتبعنا مواقف الصحابة رضوان الله عليهم-بمن فيهم الخلفاء الراشدون-من الشعر، فإننا نجد ها غير مباينة لما رأيناه قبلا في القرآن وعند نبي هذه الأمة الذي كان قدوتهم في كل ما يقولون ويفعلون، عملا بقوله تعالى:" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"[3].

وهناك شواهد كثيرة تدل على حسن اهتمامهم بالشعر وتأثرهم به وتقديرهم له، فأبو بكر الصديق الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليوجه حسان بن ثابت ويدله على المعاني التي تنال من كبرياء خصوم الدعوة من قريش كما يستنشده الرسول الشعر فينشده كما مر معنا في قوله عليه السلام لكعب بن مالك:" ما نسي ربك وما كان ربك نسيا شعر قلته".

فيستفسر كعب عن هذا الشعر فيأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن ينشده الشعر الذي قصده في حديثه، فينشد رضوان الله تعالى عليه عنه قول كعب بن مالك:

[1] المصدر السابق، ج1، ص 32.
[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد عند العرب، ص43.
[3] سورة الأحزاب، الآية 21.

زعمت سيخنته أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه أحيانا في صواب ما يسمعه من شعر، فقد روي الزبير بن بكار أن النبي عليه السلام مر ومعه أبو بكر برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يا أيها الرجل المحّول رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" يا أبا بكر هكذا قال الشاعر؟، فقال: لا، يا رسول الله ولكنه قال:

يا أيّها الرجل المحّول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف؟

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم:" هكذا كنا نسمعها"

ويحدثنا المؤرخون أنه رضي الله تعالى عنه كان إذا تمثل الرّسول صلى الله عليه وسلم بالشعر وكسره صوبه له"[1].

إن الشواهد هذه تعطينا فكرة واضحة عن محفوظ أبي بكر من الشعر، وهو ما يدل من ناحية أخرى على اهتمامه الكبير بالمنظوم من الكلام، ويعزز هذه الفكرة مشاركته في تقويم الشعر وتوجيهه، فقد ذكر ابن رشيق أن أبا بكر كان يقدم النابغة ويقول إنه أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قصرا"[2].

أما الخليفة عمر فيبدو أنّه كان أكثر الخلفاء الراشدين إعجابا بالشعر واحتفاء به، قال د/ عبد العزيز عتيق:" والواقع أن عمر ظل في إسلامه كما كان في جاهليته حفيا بالشعر شديد الشغف به، ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة واشتغاله بمهامها التي لا تدع له من وقته فراغا لغيرها، فكان يتمثل بالشعر ويرويه ويستنشده أصحابه وحفاظه، ويستقبل الوفود ويخوض معهم في الحديث عن شعر شعرائهم"[3].

[1] حثير عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الإسلامي والأموي، ص 79-80.

[2] ابن الرشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 95.

[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 62

هذا الذي قاله الدكتور عتيق تؤيده مشاركة عمر الواسعة في الحركة النقدية لهذا العهد، فسوغ ذلك لابن رشيق أن يقول:" وكان-أي عمر بن الخطاب-من أنقد أهل زمانه للشعر وأنقد هم فيه معرفة"[1].

وتثبته أيضا الأخبار الكثيرة التي وصلتنا عنه في هذا المجال، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني لابن عباس خبرا مفاده أن عمر طلب منه في إحدى غزواته أن ينشده لزهير، فظل ينشده حتّى برق الفجر.[2]

وكان أيضا يفتح أحاديث في الشعر والشعراء مع وفود العرب التي تأتي المدينة في العهد الراشدي، مثلما كانت تفعل زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في الأغاني أنه سأل وفد غطفان: أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعب أي الرجال المهذب؟

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين، قال هذا أشعر شعرائكم[3].

فاختيار هذه النماذج للاستدلال على تفوق النابغة وتقدمه، يدل على بصر نافد في تذوق الشعر، مثلما تدل محاورته وفدا جاء لقضاء حاجات أخرى في أمر الشعر والشعراء على اهتمام وشغف بالشعر كبيرين.

وقد كان عمر فوق ذلك شديد التأثر بالشعر يهتز لما فيه من معان صادقة، وقد يبلغ تأثره به-وهو الرجل القوي الشديد-حد البكاء والعفو على المذنبين، كما حدث حين خاطبه الحطيئة الذي حبسه عمر لطعنه في أعراض الناس بقوله:

[1] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر والشعراء وآدابه ونقده، ج1، ص 33

[2] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج 10ص 291-290

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 12.

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك النهى البشر

لم يؤثروك إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الإثر

فامئن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر

أهي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض دارية تغمى بها الخبر

فبكى عمر لقوله:" ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخ" وعفا عنه[1].

لما في الأبيات من صوّر مؤثرة تستثير الشفقة والرحمة على أولاد صغار نال منهم الجوع والبرد الشديد، يخاطبون أمير المؤمنين أن يرد عليهم عائلهم الذي ألقاه في ظلمات السجن، وحقيق بمن يترك الشعر في نفسه مثل هذا الأثر ويشتغل به حتى في أوقات انصرافه إلى كبريات الأمور، ألا يقف اهتمامه بالشعر عند حدود ذاته، بل يتجاوز ذلك إلى دعوة رعيته إلى تعلّمه، وإدراكا منه لأثره الإيجابي في النفوس و دوره في تهذيبها، وهو ما نستخلصه من مجموعة من أحاديثه نقلها إلينا الرواة، منها كتابه إلى أبي موسى الأشعري أن:" مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب".[2]

وحسب الدكتور عتيق، فإن الشعر عرف ركودا آخر بانتصار الإسلام آخر الأمر" ودخول العرب في دين الله أفواجا فوقفت في تقديره المساجلات الشعرية التي شبت في عصر الرسول بين شعراء المشركين من قريش وشعراء الإسلام"[3].

[1] المصدر السابق، الأصفهاني، الأغاني، ج2،ص 107.

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسين القيرواني الأزدي، العمدة، ج1، ص 28.

[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 58.

ويضيف بأن " انصراف العرب في عصر الراشدين إلى الفتوح الإسلامية واشتراك الشعراء فيها جعل المحل الأول للعمل دون القول، وللسيف دون الكلمة".[1]

يستشهد على ما يقول بكلام نسبه إلى عمر بن الخطاب وهو:"كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته"[2].

ينبغي أن ننبه بادئ ذي بدء إلى أن هذا الكلام الذي جاء في طبقات فحول الشعراء، ليس كله لعمر بن الخطاب إنما يتضمن إضافة هي من كلام ابن سلام فقول عمر هو: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم من علم أصح منه" أما بقية النص فإنها لابن سلام، وهو رأي تناقض فيه الجمحي مع رأيه في دور الحروب والوقائع في بعث الشعراء على القول، ويذهب آخرون أيضا إلى أنه على الرغم من الدور الذي أداه في معركة الدعوة، فإنه لم يكن أكبر هم الناس، فلم ينقطعوا له الانقطاع الذي نراه في الجاهلية بسبب المشاغل التي أصبحت تلح على المسلمين لا سيما بعد أن بدأ التفكير في نشر الرسالة خارج حدود الجزيرة العربية، وبسبب إقبال الخلق على فهم الدين فهما صحيحا، وإن لم يوديهم إلى هجر الشعر هجرة مطلقة.

في مناقشة هذه الآراء التي يؤدي الاعتقاد بها إلى القول بفتور الحركة الشعرية التي هي محور العملية النقدية، نذكر بأّن المسلمين الأول كان جلّهم من العرب الذين ملك عليهم الشعر نفوسهم كما تبين من قوله عليه الصلاة والسلام:" لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[3].

فلم يكن من السهل أن تفتر ملكة إبداعه في نفوسهم بانتقالهم من الجاهلية إلى الإسلام، خاصة أن الإسلام كما رأينا لم يحرمه عليهم، وإنما منع من الخوض نوع معين منه، معنى ذلك أن النفوس المؤمنة ستتجه إلى إبداع ما يتماشى

[1] المرجع السابق، نفس الصفحة

[2] ابن سلام الجمحي، محمد، طبقات فحول الشعراء، حققه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط 2،1974،ص15

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسين القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1،ص30

منه مع روح الإسلام والقيم التي أراد ترسيخها في المجتمع الجديد، ويسهم في مناصرة الدعوة المحمدية المباركة عملا بقوله عليه الصلاة والسلام:" ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم."[1]

ولما كانت الخصومة على أشدها بين الإيمان والكفر لا سيما في السنتين الأولى من البعثة، فإن هذا الصدام يعد باعثا قويا على قول الشعر بالنسبة إلى أنصار الحزبين المتصارعين، فكلاهما يسعى إلى إذاعة الأفكار التي يدعو إليها، وإلى نشر أخبار انتصاره على أوسع نطاق عن طريق الشعر، بحسبه من أنجح وسائل التبليغ يومئذ ومن أكثرها تأثيرا في النفوس – بعد القرآن الكريم–حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما".[2]

وقد أدى ذلك كله إلى أن يكون حضور الشعر في الصراع بين الإسلام والشرك حضورا واسعا، فجرى على ألسنة عدد كبير من الشعراء منهم الرجال ومنهم النساء، ومنهم شعراء قدامى وآخرون جدد لم يعرفوا في الساحة الشعرية من قبل.

وقد كان هؤلاء جميعا يتجاوبون مع الأحداث التي رافقت هذا الصراع، ففي يوم بدر مثلا حين كتب الله النصر للمسلمين وهم قلة قليلة، انطلقت ألسنة شعراء المسلمين" تذكر النصر المؤزر الذي ظفر به النبي وأصحابه وتندد بقريش وأبطالهم الذين صرّهم الغي والضلال ولم تفن عنهم كثرتهم شيئا، فممن فعل ذلك حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وكعب بن مالك وقد روي له ابن هشام تسع قصائد في هذه الوقعة وحدها، وعبيد بن الحارث بن المطلب"[3].

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج4، ص 142.

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص27

[3] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي ،ص 80-81

وقد حركت هذه الموقعة أيضا شعراء المشركين الذين خسروا فيها كثيرا من النفوس، فبكوا قتلاهم وأشادوا بأبطالهم، ومن هؤلاء الشعراء:" الحارث بن هشام بن المغيرة وضرار بن الخطاب وعبد الله الزبعري، وأبو بكر بن الأسود وأمية بن الصلت ومعاوية بن زهير بن قيس، وهند بنت عتبة ولها أربع قصائد في رثاء أبيها وقومها، وصفية بنت مسافر....[1]

فالوقائع التي بين المسلمين والمشركين، تعد على هذا باعثا قويا على قول الشعر خاصة أن المسألة أخذت بين الفرقين طابع المناقضات الأمر الذي أفرز كثيرا من الشعر، قال د/ بدوي طبانة:" فإذا قال شاعر من المسلمين قصيدة في الفخر لما كتب الله لهم من النصر، تصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يصدم فخره، وينقض قوله.[2]

[1] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، ص 81

[2] المرجع نفسه، ص 82-83

المعايير النقدية في صدر الإسلام:

لا تخلو حركة نقدية في أية أمة من الأمم وفي أي عصر من العصور من معايير تستند إليها في تقويم الأعمال الفنية والحكم عليها بالجودة أو بالرداءة، وهذه الموازين تمت بصلة قوية إلى ذوق الأمة وتصوراتها للحياة وإلى مجموع المعتقدات والتقاليد والأعراف التي تؤمن بها، لذلك نلاحظ أن المقاييس النقدية لا تعرف الثبات، بل هي في تغير مستمر من عصر إلى عصر بسبب النمو أو التطور الذي يمس حياة الأمم في شتى جوانبها، فأنت إذا وازنت بين المعايير التي كان يحتكم إليها قدماء اليونان في تقويم العمل الفني وبين المعايير النقدية عند الغربيين في العصر الرومانتيكي أو في العصر الحاضر، فإنك سترى بينها فروقا شاسعة مردها إلى عامل التطور الحاصل في حياة الشعوب الغربية، سواء معتقداتها الدينية والاجتماعية أم في فكرها وتصوراتها للحياة، من ثم فإن تحديد المقاييس النقدية في العصر الإسلامي يتطلب منا أن نتذكر أن معجزة القرآن كانت معجزة بيانية هدفها تحدي العرب في الارتقاء إلى مستواه من الفصاحة والبيان، على الرغم مما عرفوا به من رسوخ قدم، في هذا المضمار، وعلينا أن نتذكر أيضا أن العهد الذي ندرسه عرف تحولات عميقة في المعتقد وفي القيم والمثل، فالإسلام كما هو بين حارب العقائد الوثنية التي كانت غالبة على حياة الجاهليين ودعا إلى التوحيد بالاعتقاد في إله واحد لا شريك له، وترك عبادة الأوثان[1] والاستقسام بالأزلام، وكل ما يتنافى مع عقيدة التوحيد، ونبذ كثيرا من القيم والمثل والعادات التي كانت سائدة بينهم كالتفاخر بالأحساب والأنساب والعصبيات ووأد البنات وسفك الدماء بغير حق، وحرم عليهم الخمر والتنابز بالألقاب وقذف المحصنات وبعض عاداتهم في الزواج وما إلى ذلك وأحل محلها ما يتلاءم مع تعاليم الإسلام الرامية إلى خلق مجتمع سوي منسجم تقوم الحياة فيه على تقوى الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده، وعلى الأخوة والتعاون بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومراتبهم، ومن هذه التعاليم والقيم والمثل التي أقرها الإسلام للإنسان نهجا في الحياة ومن تمجيده للفصاحة والبيان استمد النقد الموازين التي يزن بها الآثار الفنية التي ينبغي لها-بوصفها

[1] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة، ج1، ص 26.

نشاطا إنسانيا واعيا-أن تسير على الطريق التي رسمها الإسلام للمسلمين، حتى لا ينحسب على أصحابها قوله تعالى:" والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون".[1]

1-الأسس الدينية والخلقية:

إن ما ينبغي أن نلفت النظر إليه بادئ ذي بدء هو أن المعايير الدينية والأخلاقية ستتعلق بتقويم العمل الأدبي من حيث محتواه الذي قلنا في الصفحات السابقة: إن نقاد هذا العهد-وجلهم من قادة الدعوة-ركزوا جهودهم لوصله بتعاليم الدين الجديد ومبادئه، فانطلاقا من هذه الغاية التي كان هدفها تحويل الشعر إلى أداة بناء إيجابية في المجتمع، رأينا الرسول صل الله عليه وسلم يصوغ مبدأ جديدا للتمييز بين جيد الشعر ورديئه فقال:" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[2].

والحق قيمة دينية وأخلاقية عالية، لكن الرسّول صلى الله عليه وسلم جعله محكا للتميز بين ما ينبغي أن يستحسن وألحق من الشعر وما يستهجن منه، والجانب المخصوص بالتقويم هنا هو مضمون العمل الفني، الذي يجب أن يكون متوافقا مع الحق بعيدا عن الباطل الذي يشمل كل ما هو قبيح من فعل أو قول أو اعتقاد، فقبول الشعر ورفضه لا يخضع لما فيه من جمال فني فحسب، بل لا بد من النظر إلى طبيعة مضمونه أيضا، فإذا ما تعارض مع أخلاق الإسلام ومبادئه فإنه يرفض، لأن الرسول صل الله عليه وسلم وصحابته الذين كانت لهم عناية بتقييم الشعر، أرادوا أن يبدأ الشعر " بالإسلام مرحلة جديدة تتبدل وظيفته.... مرحلة يستقي فيها من منبع الإسلام الصافي ثم ينطلق في جميع المجالات على هدى من تعاليمه ومبادئه".[3]

[1] المصدر السابق، ابن رشيق، العمدة، ج1، ص27

[2] المصدر نفسه، نفس الصفحة

[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الدبي عند العرب ص 52.

وسنحاول أن نبرز أهم المعايير الدينية والأخلاقية التي استند إليها النقد في هذه الفترة من خلال الملاحظات التي كان يبديها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته على ما كان ينشد عليهم من شعر، وهو ما سيفرض علينا تكرار بعض النصوص التي سبق لنا عرضها في سياقات أخرى، فقد مر معنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع قول لبيد:" ألا كل شيء ما خلا الله باطل" قال: قال إنه أصدق كلمة قالها شاعر" فإذا بحثنا عن الأسباب التي حملته صلى الله عليه وسلم على استجادة هذا الشطر والتنويه به فإننا سنلقاها في انسجام فكرته مع الفكرة الإسلامية عن الله عز وجل وعن بقية مخلوقاته في هذا الوجود، بمعنى إن توافق هذه الفكرة مع الحق هو ما أحلها في منزلة طيبة من نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وهو السبب عينه الذي سيجعل أبا بكر يقول للبيد بشأنه "صدقت" لكنه حين أتبعه بقوله:" وكل نعيم لا محالة زائل" فإنه استهجن فكرته لمخالفتها الحقيقة قال له: كذبت عند الله نعيم لا يزول".

فالصدق والحق وهما خلاف الكذب ومجانبة الحقيقة، معيار نقدي مهم في تقييم الأعمال الشعرية في عهد الفترة ويمكن أن نعرض في هذا المجال طائفة من الأحكام النقدية التي تبين أهمية هذا المعيار عند نقاد هذا العهد، فقد أنشد النابغة الجعدي الرسول صلى الله عليه وسلم:[1]

ولا خير في حكم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فأعجب الرسول الكريم بهذه الفكرة فقال له:" لا يفضض الله فاك"[2].

[1] ديوان النابغة الجعدي، ص15.

[2] ابن القتيبة، الشعر والشعراء، لبنان، دار الثقافة، ط4، 1980، ص181.

وسر هذا الإعجاب يكمن في موافقة محتوى البيتين لمبادئ الإسلام، فالله سبحانه وتعالى يقول:" خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين".[1]

ويقول عليه الصلاة والسلام:" ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب" معنى هذا أن النابغة الجعدي كان صادرا في بيتيه المتقدمين عن الحق، لأن كل ما وافق الإسلام فهو حق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ونرى الخليفة عمر بن الخطاب يعجب بشعر زهير بن أبي سلمى لتوفر عدة صفات فيه، منها أنه كان:" لا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه"[2].

فجعل عمر بن الخطاب هذه الصفة من بين مجموعة الخصائص التي حملته على الإعجاب بشعر زهير، يعني أن الصدق عنده معيار من معايير النقد والحكم على آثره الفني لأن عمر كما تبين من كلام عرضناه له في مكان آخر. يمنح أهمية كبيرة للشعر في تهذيب النفس وتلقينها الفضائل ومكارم الأخلاق، وهي الرسالة التي لا يمكن أن ينهض بها الشعر إذا كان قائما على الافتراء والكذب وقول الزور وتملق الممدوحين، بنسبتهم إلى قيم وفضائل هم أبعد ما يكونون عنها، فيكون ذلك رفعا لهم بغير حق.

وانطلاقا من هذا المبدأ يلوم الخليفة عمر أبا موسى الأشعري على وصله الحطيئة حين مدحه بقصيدته التي منها:

وجحفل كبهيم الليل منتجع أرض العدو بؤس بعد إنعام

جمعت من عامر فيه ومن جشم ومن تميم ومن سام ومن حام

مستحقبات رواياها جحاقلها يسمو بها أشعري طرفه سامي

[1] سورة الأعراف، الآية 193.

[2] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج10، ص200.

فقد أحس عمر رضي الله تعالى عنه أن في هذا الكلام مبالغة تفضي بالشاعر إلى تجاوز الحقيقة ومجانبة الحق، لذلك وجه لومه إلى أبي موسى على مكافأة الحطيئة على هذا الكلام، فكتب إليه يبرر تصرفه:" إني اشتريت عرضي منه بها، فكتب إن كان هذا هكذا، إنما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت"[1].

ويوحي من معيار الحق والصدق كان عمر يعجب بقول زهير:

إن الحق مقطعه ثلاث يمين او نفار أو جلاء

فقد أصاب زهير الحق في هذه القسمة، لذلك كان رضي الله تعالى عنه يقول:" لو أدركت زهير لوليته القضاء لمعرفته"[2]. وحين أنشد لامية عبد بن الطبيب وبلغ المنشد إلى قوله:

والمرء ساع لشيء ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتأميل

قال متعجبا:" والعيش شح واشفاق وتأميل" ومصدر العجب هنا ليس توفيق الشاعر في القسمة فينا فحسب، بل أيضا لأن قوله وافق الحقيقة.

وقد رأينا الخليفة عثمان أنشد قول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال معبرا عن إعجابه: أحسن زهير وصدق، لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس، قال، وقال:" النبي صلى الله عليه وسلم لا تعمل عملا تكره أن يتحدث به"[3].

[1] المصدر السابق، الأغاني للأصفهاني ج2، ص 175-176 .

[2] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، دار الكتب العلمية لبنان، ط2، 1984، ص 342.

[3] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج9، ص 312.

فمن البين أنّ صدق فكرة زهير هي التي حملته على الإعجاب بهذا البيت فعبر عن توافق هذه الفكرة مع الحق بإيراد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يستوعب معنى البيت، وتندرج ضمن المقاييس الدينية أيضا كل ملاحظات هؤلاء النقاد التي كانوا ينطلقون فيها من تعاليم الإسلام ومبادئه في حكمهم على الأعمال الفنية فالإسلام مثلا حرم القذف لما فيه من سباب وتجريح وطعن في الأعراض ومس بالحرمات وما جرى مجراها، مما فيه نيل من مروءة الإنسان وأخلاقه وعرضه، قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"[1].

ومن هذه الزاوية أصبح الشعر الذي يخوض في السباب الفاحش وينتهك أعراض المسلمين محظورا، لمخالفته الوجهة التي أراد النقد في هذه الحقبة أن يوجه إليها الشعر، لتكون له وظيفة إيجابية في المجتمع، لذلك فرض الرسول صلى الله عليه وسلم عقوبة شديدة على الهجاء المقذع فقال:" من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر"[2].

معنى هذا أن الحكم على العمل الأدبي لا يقوم على ما فيه من فحسبه، إنما ينظر أيضا إلى القيمة الأخلاقية والدينية لمضمونه، وما يمكن أن يكون لهذا المضمون من آثار، فإذا تعارض هذا المضمون مع الدين والأخلاق، فإن هذا الشعر يرفض بالغا ما بلغت درجته من السمو الفني، فقد رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر على حسان أن ينشده من الشعر الجاهلي ما فيه هجاء، وإن كان المهجو فيه شخصية عاشت في عهد الضلال والشرك، فقد قال عليه الصلاة والسلام يخاطب شخصية عاشت في عهد الضلال والشرك، فقد قال عليه الصلاة والسلام يخاطب حسانا حين أسمعه قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة:" يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا" ومر معنا أيضا أن عمر بن الخطاب نهى الناس عن إنشاد شيء من مناقصة الأنصار ومشركي قريش، لأن

[1] سورة الحجرات، الآية 11.

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 170

مضامين تلك الأشعار بعد انتصار الدعوة أصبحت تتعارض مع القيم الدينية التي أراد الإسلام أن يثبتها في النفوس، فانطلاقا من هذه المعايير التي تستوحي الدين والأخلاق الإسلامية في الحكم على النص، كان النقاد يقومون الأشعار التي كانت تنشد عليهم، فعمر رضي الله تعالى عنه، بعد أن تبين ما في هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر والنجاشي لبني العجلان من إقذاع، رفضه لمخالفته الروح الإسلامية، بل أنزل صاجي هذا الشعر عقوبة رادعة. واستنادا إلى هذه المعايير الملتزمة بأصول الدين والأخلاق كان النقاد يتناولون الأصناف الأخرى من الشعر، فلما أنشد سحيم قوله:

وبتنا وسادانا إلى علجانة وحقق تهاداه الرياح تهاديا

وهبت شمالا آخر الليل قرة ولا توب إلاّ بردها ورداثيا

فمازال بردي طيبا من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا

قال له عمر بن رضوان الله تعالى عنه يستقطع خروجه على المعايير الدينية والأخلاقية في الشعر:" ويلك إنك مقتول".[1]

وقد كانت هذه الموازين منطلق النقاد أيضا في رفض شعر الفخر الذي يستمد أصوله من المثل الجاهلية التي حاربها الإسلام كالفخر بالأحساب والأنساب والإدمان على شرب الخمر وإحياء العصبيات وما إلى ذلك، فعند ما أنشد النابغة الجعدي الرسول الكريم قوله:

أتيت رسول الله إذا جاء بالهدى ويتلو كتابا كالجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجددنا وإن لنرجو فوق ذلك مظهرا

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج20، ص 69.

فإنه عليه الصلاة والسلام أحس في البيت الثاني عدولا عن الأخلاق الإسلامية التي تجعل مقياس التفاضل بين الناس تقوى الله عز وجل وتنبذ كل ما سواها من أضرب الأفخر القديمين فقال غاضبا أو كالغاضب: إلى أين يا أبا ليلى؟" فأجابه الشاعر إلى الجنة، وعندئذ التقت فكرة الشاعر مع القيم الإسلامية، فأعلن عليه الصلاة والسلام رضاه عما سمعه من شعر فقال: إن شاء الله.[1]

إن هذا الموقف للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من الشعراء المتعارض مع روح الإسلام وقيمه ومبادئه، بالإضافة إلى مواقف أخرى لهم يمكن أن تلتمس في الصفحات السابقة، تعتبر تعبيرا واضحا عن التزام النقد بمعايير جديدة في تقييم الآثار الفنية، وهي معايير كما قدمنا، ننظر إلى الشعر من حيث علاقة محتواه بالدين والأخلاق، لذلك رأيناهم يستجيدون" كل شعر فيه إشادة بالعقائد والخلاق والمثل العليا التي رسمها الإسلام وأبدوا سخطهم على كل قول يناهض تلك المثل الإسلامية الرفيعة أو يشجع الرذائل ويشيع الفاحشة ومساوئ الأخلاق في الناس أو يؤثر الدنيا على الآخرة"[2].

2-الأسس الفنية:

رأينا النقاد فيما تقدم يقيمون الشعر بالنظر إلى ملاءمة محتواه للأخلاق والدين، غير أن الاهتمام بالمضمون الديني والأخلاقي للأدب، لا يعني البتة إهمال الجانب الفني فيه، لأن إغفال هذا الجانب في الأدب يؤدي إلى مساواته بغيره من أصناف الكلام، كما ينتهي بالناقد إلى إنزال الأعمال الفنية منزلة واحدة مهما اختلفت حظوظها من الجودة الفنية التي تعد شرطا رئيسا في التمييز بين الأدب وأضرب الكلام الأخرى، وتترتب عنه من ناحية أخرى تسوية بين المبدعين الحقيقين وبين المتطفلين على الإبداع، لأنّ القول بمضمون ملتزم بالقيم الدينية والأخلاقية لا يعني البتة أن المبدع سيجد هذا المضمون جاهزا أو كالجاهز، ويقدمه لجمهوره في صورة وعظ وإرشاد مباشرين، فلو كان ذلك هو

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 181.

[2] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، ص 90 .

المطلوب لانسجت صفة (مبدع) على كثير من الناس، ولما حق لنا أن نتحدث عن تمايز في القدرات الإبداعية بين مبدع وآخر، فالمسألة في الفن عامة- بما فيه الأدب- لا تتوقف على طبيعة المحتوى الذي يقدمه الفنان فحسب، بل تتوقف أيضا على كيفية تقديم هذا المضمون، لأنه ليس من غاية الأدب أن يعطينا حقائق علمية ولا قضايا فلسفة المضمون، ولا شيئا من هذا القبيل، كما أنه ليس من غايته أن يحقق لنا أغراضا تجعله محصورا في نطاقها مصبوبا في قوالبها، ليس الأدب مكلفا أن يتحدث مثلا عن صراع الطبقات ولا عن النهضات الصناعية، كما أنه ليس مكلفا أن يتحول إلى خطب ونمطية عن الفضيلة والرذيلة، ولا عن الكفاح السياسي والاجتماعي في صورة معينة من الصور الوقتية الزائلة، وذلك إلا أن يصبح أحد هذه الموضوعات (تجربة شعرية) خاصة للأديب تنفعل بها نفسه من داخلها، فيعبر عنها تعبيرا موحيا مؤثرا[1].

فقد نجد مجموعة من الفنانين يستلهمون قيما ومثلا واحدة في أعمالهم الإبداعية، لكننا نتأثر لبعضهم دون بعضهم الآخر، والسرّ في ذلك هو مدى توفيق المبدع في صياغة مضمون عمله على النحو الذي ينفذ به إلى نفس المتلقي، فالمضمون مهما كان متوافقا مع الاتجاه الذي نؤمن به، فإنه لا يشفع للمبدع إذا أخفق فنيا في تقديمه، فالتشكيل الجمالي في العمل الأدبي عنصر جوهري فيه، وهو من أهم الجوانب التي يتوقف عليها نجاح المبدع أو اخفاقه في نقل التجربة، لأن قيمة الأدب بالنسبة إلى متلق معين لا يحددها محتواه فحسب بل للجانب الجمالي فيه أهمية أيضا، فالأدب لا يستحق أن يوصف بهذا الاسم إلا على سبيل المجاز إذا كان هذا الجانب فيه ضعيفا، ناهيك أن يهمل إهمالا كاملا، فالمضمون مهما كان هادفا لا يمكن أن يؤدي وظيفته الحقيقية إذا كانت الأداة التي يقدم بها رديئة، لأن الأداة-وهي هنا القيم الجمالية في العمل الأدبي-هي وسيلة المبدع إلى نفس المخاطب، ليحمله على الانفعال والتأثر بالمحتوى الذي يقدمه له، ومن ثم اتخاذ موقف منه، لذلك فإن أقبح الشعر- كما يقول حازم القرطاجي- هو

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 08

ما كان قبيح المحاكاة والهيئة وإن كان موزونا مقفى:"لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأن قبح الهيئة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب"[1].

فلما كان للجانب الفني في الأدب هذه المكانة، فإنه من الأهمية بمكان أن نتساءل عن المعايير الفنية التي كان يستند إليها النقد في صدر الإسلام في تقييم الأعمال الشعرية، وفي هذا المضمار ينبغي أن نكون على بينة من أن الإسلام لم يكن خصما للقيم الجمالية في الكلام، فالقرآن الكريم قد منح العنصر الفني في التعبير أهمية بالغة، وكان هذا الجانب من أهم الجوانب التي تحدى بها العرب فأقروا بعجزهم عن مضاهاته فيه، على الرغم من أنهم كانوا أمة فصاحة وبيان، واعترفوا بأثر جمال العبارة القرآنية في نفوسهم، ولم يستطيعوا أن يخفوا إعجابهم بالقرآن من هذه الناحية، حتى إنّ الوليد بن المغيرة أحد ألد خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم قال حين سمعه يتلو بعض آياته:" والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لثمر وإن أسفله لمعدق"[2].

إن الانبهار بالبلاغة القرآنية من خصوم الدعوة الذين لو وجدوا مدخلا للطعن فيه من هذه الناحية لما فوتوا الفرصة على أنفسهم، يعد شاهدا على المكانة التي حظي بها الجمال الفني في النص القرآني، ويزيد من يقيننا في تقدير الإسلام لجمال التعبير أنّ العرب لما عجزوا عن الإتيان بمثل ما تحداهم به القرآن ردوا سبب العجز إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم له من أخبار الأمم السالفة ما ليس لهم، فلا يمكن بالتالي أن يحاوروه في ذلك، فرد عليهم القرآن ردا يوضح أن مرجع العجز ليس إلى مضمون آيات القرآن وسوره، بل مرجعه إلى العجز عن بلوغ مستوى

[1] حازم القرطجاني، مناهج البلغاء، وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، د ت، ص72.

[2] تفسير الزمخشري لسورة المدثر، ص 41.

البيان القرآني في الصياغة وسبك المعاني قال تعالى:" أم يقولون افتراء، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".[1]

ويتجلى أيضا هذا التقدير للقيم الفنية في كلام الرسّول صلى الله عليه وسلم فقد قال الجاحظ يتحدث عنه عليه الصلاة والسلام:" لم يتكلم إلا بكلام قد (حلب) خصّ بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة ولا زلت به قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبد الخطب الطوال بالكم القصار ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم[2].

ويؤكد ذلك الرسول الكريم نفسه فهو القائل:" أوتيت مجامع الكلم" إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى مكانة كلامه من الفصاحة والبلاغة، ونلحظ في بعض ما روي عنه إشادة بالجانب الجمالي في الكلام، فقد قال:" إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما".[3]

فقرنه البيان بالسحر الذي يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه كما يقول ابن رشيق[4].

يدل على ما يتوفر عليه الكلام المنسوب إلى البيان من خصائص فنية تؤهله لإحداث تأثير مشابه للتأثير الذي يحدثه السحر في نفس المتلقي، ثم إنّ الذين كانت لهم مشاركة في النقد في هذه الفترة–وأغلبهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم–كانوا من البلاغة والبيان بمكان عال–فمن الطبيعي أن تحظى المعايير الفنية بقسط وافر من اهتمامهم

[1] سورة هود، الآية 13

[2] الجاحظ، البيان والتبين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان–سنة 1998/1419، ج2 ،ص 17

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن، القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص27 .

[4] المصدر نفسه، ج 1ن ص 27

في تقدير الأعمال الشعرية، وقد روى الإمام علي رضي الله تعالى عنه كلام قدم فيه أمرأ القيس أيضا، فلما سئل عن سبب تقديمه على الشعراء قال:" لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة"[1].

فميزان التقديم هنا يقوم على سبق امرئ القيس الشعراء إلى جواهر المعاني وابتكاره في طرائق الشعر وعلى حسن بديهته التي كانت تسعفه على القول دون كبير عناء[2].

وقد كان صدق الشاعر في تعبيره عن تجربته وإفصاحه عما يحس به معيارا مهما من المعايير التي عنى بها النقاد في هذا العهد، ومعلوم أن ثمة فرقا بين هذا الصدق وبين الصدق الأخلاقي، فالصدق الفني يعني صدق المبدع في إعرابه عما يشعر به بصرف النظر عن اتفاقه مع الحق أو تعارضه معه، فقد روي أن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال:" لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد نصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبته ولا لرغبة ولا لرهبة، فقيل من هو؟ قال: الكندي"[3]

إذا أرجأنا الحديث عن الشطر الأول من هذا الكلام إلى حينه واقتصرنا على ما تعلق منه بامرئ القيس فإنا نلاحظ أن الإمام علي يقدم الكندي لأنه لم يقصد بشعره مدح شخص رغبة في مكافأته ولا استرضاء لأخر خوفا من بطشه، وإنما قال هذا الشعر إصغاء لنفسه استجابة لما يحتمل بين أنحائه من أحاسيس ومشاعر، فإذا تأملنا الموقفين الأولين بدالنا أن احتمال الافتعال فيهما كبير جدا، فقد تدعو الرغبة في صلات الأخرين وثوابهم الشاعر إلى التملق وقول ما لا يعتقد، فيكون كلامه صادرا عن لسانه لا عن حياته، والخوف مع ماله من أثر في استثارة المشاعر وتحريكها، فإنه قد يوقعه أيضا في تضخيم الشخص الذي يسعى إلى اتقاء شره، فينسب إليه صفات وأفعال أبعد ما تكون عن الحق وعن اعتقاده، وفي كلا الموقفين يكون الشاعر غير صادق مع ذات نفسه ولا مصورا لما يحسه

[1] المصدر السابق، ج1، ص 42

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 83

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة، ج1، ص 41

على الحقيقة، خلافا لما يكون عليه في الموقف الثالث الذي لا يهدف فيه، سواء كانت بواعثها سارة أم محزنة مؤلمة، وفي هذه الحالة يكون الشاعر أصدق في التعبير عن طويته وأبعد من الافتعال والتلفيق، وفي هذه الصفة التي قدم بها الإمام علي على امرأ القيس تقديرا منه لمقياس الصدق في التعبير عن التجربة[1].

على أنه ينبغي ألا نفهم مما تقدم أن جميع القصائد التي قيلت في أغراض ذات طابع نفعي كانت خالية من الصدق الفني، فالحاجة مثلا قد تدفع الشاعر إلى الإعراب عن حاله وأملها بصدق كبير، والرغبة في العفو وتفادي سلطان متجبر يمكن أن تثمر شعرا في أعلى درجة من الصدق في تصوير العواطف، لأن مثل هذه المواقف لا تخلو من البواعث الحقيقية للانفعال الفني في الذات المبدعة، والأمثلة على ذلك كثيرة في أدبنا العربي، فزهير بن أبي سلمى على الرغم من أنه تكسّب بشعره، فإن عنصر الصدق-بمفهومه الأخلاقي والفني- لم يكن غائبا في قصائده، حتى جعل عمر بن الخطاب من أسباب تقديمه أنه: كان لا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلاّ بما يكون فيه، وهنا نلحظ التقاء مقياسي الصدق في نقد عمر، الصدق الأخلاقي الذي هو نقيض الكذب، والصدق الفني وهو مجيئ الكلام صورة لما يحس به المبدع غير ناظر إلى توافقه أو عدم توافقه مع الواقع الخارجي.

ويمكن أن نضيف إلى ما نحن فيه مقياس التجويد الفني للعبارة، وقد ألمعنا إلى شيء من هذا في شرحنا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من شعر امرئ القيس، حين قلنا إن عبارته عليه الصلاة والسلام تتضمن الإشارة إلى قدرة أمرئ القيس على صياغة المعاني صياغة مؤثرة في لغة صافية وديباجة مشرقة، وتتم صورة هذا المعيار بكلام عمر بن الخطاب يقدم فيه إمام مدرسة الصنعة في الشعر الجاهلي لأسباب منها أنه: «كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حواشيه"[2].

[1] المصدر السابق، ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 98

[2] المصدر السابق، ابن رشيق، العمدة، ج1،ص98

فالأوصاف التي اشتمل عليها الحكم النقدي تتعلق كلها بالعبارة وعناصرها، فالمعاظلة هي تعليق الشاعر ألفاظه ببعضها تعليق يفضي به إلى الإخلال بالمعنى وإحداث الغموض في الكلام، أما حواشي الكلام فالمراد به الألفاظ الغريبة النادرة التي تتسبب أيضا في تعمية المعنى وحجبه عن الأذهان، فالمعيار هنا كما هو بيّن يتصل بجمالية العبارة، فعناصرها الأولى وهي الألفاظ المفردة ينبغي أن تكون متخيرة منتقاة، أما العبارة ذاتها فينبغي أن يحسن التأليف بين عناصرها وأن تكون أجزاؤها متلاحمة تلاحما قويا خالية من الضعف والركاكة ومن كل ما من شأنه أن يلق خللا بالمعنى، ومثل هذه الشروط الفنية المستفادة من كلام عمر تسهم إسهاما إيجابيا في عملية التبليغ، والإلحاح على التجويد الفني للعبارة له أصوله في الحقيقة في مدرسة الصنعة في الشعر الجاهلي، واستمر بعد ذلك مع أفراد هذه المدرسة الذين امتد بهم العمر إلى العصر الذي ندرسه من أمثال كعب ابن زهير والحطيئة الذي كان يقول:" خير الشعر الحولي المحك"[1].

فالشاعر حين يصطف على القصيدة-بعد إبداعها-منقحا مهذبا، إنما يمارس على شعره عمل الناقد، وهو ما يسمح لنا بالقول: إن جهود شعراء هذه المدرسة في تثقيف أشعارهم وتوفير شروط الجودة الفنية لها، تؤكد منزلة المعيار الفني في الحركة النقدية في صدر الإسلام[2].

[1] الجاحظ، البيان والتبين، ج2، ص 13.

[2] المصدر نفسه، الجاحظ، البيان والتبين، ج1،ص 240-241

طبيعة النقد الأدبي في صدر الإسلام:

قلنا فيما مضى إن الجمالية الأدبية في صدر الإسلام لم تختلف اختلافا جذريا عما كانت عليه في العصر الجاهلي، ورأينا أن مظاهر الجمال الفني التي كان يطلبها الناقد في النص كانت في الغالب امتدادا لمتطلبات الذوق الفني في العهد السابق للإسلام، فإذا كان الأمر على النحو الذي وصفناه، فهل يعني ذلك أن الحركة النقدية احتفظت بالطوابع التي كانت لها عند الجاهلين؟

إذا عدنا إلى بعض الدراسات الحديثة التي تناولت النقد العربي تناولا تاريخيا، فإن الملاحظة التي تلفت النظر هي أن أصحابها نظروا إلى النقد الجاهلي على أنه كان كله نقدا انطباعيا وغير معلل، وهو رأي بينا عدم دقته في غير هذا الموضع، وقد سحبوا رأيهم هذا مع شيء من التحفظ على النقد في صدر الإسلام، قال الدكتور عبد العزيز عتيق:" وإذا استثنينا المساهمة التي أسهم بها عمر في سبيل تطور النقد الأدبي وفتح آفاق جديدة أمامه، فإن ما بقي بعد ذلك مما استنجد من نقد في عصر الراشدين، لا يختلف كثيرا عما كان عليه النقد في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والعصر الجاهلي"[1].

ويبدو أن د/ عتيق كان متأثرا هنا برأي الأستاذ طه إبراهيم الذي يذهب إلى أن النقد في عهد الرسول صل الله عليه وسلم كان نقدا فطريا مثلما كان في العصر الجاهلي، وأن التعليل الذي قدمه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بين يدي رأيه في زهير بن أبي سلمى ظاهرة جديدة لا عهد لنا بها في النقد العربي من قبل[2].

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص99.

[2] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2،2008، ص 31-28

إن ملاحظة د/ عتيق على الرغم مما فيها من استثناء، فإنها تحكم على النقد الأدبي في صدر الإسلام بالسذاجة، فهو وصنف للنقد الجاهلي الذي كان في تقدير د/ عتيق نقدا بدائيا فطريا يخلو من التحليل والتعليل[1].

الواقع أنه ينبغي أن نميز في العصر الإسلامي-مثلما فعلنا في العصر الجاهلي-بين صنفين من النقد، أحدهما كان يكتفي فيه الناقد برأيه فيما يعرض عليه دون تقديم الأسباب والعلل، أما ثانيهما فكان يقدم فيه بين يدي أحكامه عللا وأسبابا.

أ-النقد غير المعلل في صدر الإسلام:

لا ينبغي أن ننظر إلى هذا اللون من النقد على أنه دليل على سذاجة عقلية أصحابه وعلى عجزهم عن التحليل وتبرير أحكامهم النقدية، وذلك لأن بعض الذين صدر عنهم هذا النقد سنجد عنهم أيضا نقدا مسببا فلا يعقل، لذلك أن نغزو سكوت النقّاد عن تبرير أحكامهم إلى عجزهم عن التحليل والتعليل، فليس من الطبيعي أن تكون لهؤلاء النقاد-وأغلبهم من قادة الدعوة الإسلامية كما رأينا-عقلية تحليلية ناضجة في مجال التشريع حين لا يكون هناك نص من القرآن أو من الحديث[2].

ثم ترتد هذه العقلية إلى سذاجتها حين يتعلق الأمر بتقييم الأعمال الفنية التي تمرّسوا على تذوقها سنين طويلة، لذلك فإن ما نراه من نقد خال من التعليل لا يصح أن يفسر في كل الأحوال على أنه أثر من أثار بساطة التفكير وضعف العقلية النقدية، بل الاقتراب إلى الحق في تقديرها أن نرده إلى الظروف المحيطة بإصدار الحكم، فالخليفة عمر حين سأل وفد غطفان: أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

[1] المرجع السابق، طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي، ص 37-38.

[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، ص23.

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعب أي الرجال المهذب

قالوا النابغة يا أمير المؤمنين، قال: فأيكّم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطا طيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

إلى ابن محرق أعملت نفسي وراحتي وقد هدت العيون

أتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون

فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين، قال: هذا أشعر شعرائكم.[1]

إن عمر بن الخطاب يحكم للنابغة بأنه أشعر شعراء غطفان دون أن يقدم ما يبرر هذا الحكم، لكن لا ننسى أن الخليفة عمر كان يخاطب جماعة من الناس كانوا يقينا يعرفون ما يتميز به النابغة عن بقية شعرائهم، فلو وجدوا حاجة إلى معرفة ذلك لسألوه عن أسباب هذا التقديم ضيع ابن عباس الذي قال:" قال لي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت ولم كان كذلك .....الخ"[2] فالتعليل الذي سيقدمه عمر لابن عباس جاء نتيجة سؤاله عن أسباب تقديمه النابغة على سواه من شعرائكم، لإجابة

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج11، ص12

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1،ص 98

مثلما فعل مع ابن عباس، من ثم فإن حكمنا على هذا النقد بالفطرية والسذاجة فيه كثير من التجاوز، وهو نفس ما يمكن قوله بالنسبة إلى إعجابه بأبيات لزهير وعبدة بن الطيب وأبي قيس بن الأسلت تحققت فيها صحة القسمة[1].

فالخليفة عمر لم يكن عاجزا عن الكشف عن مظاهر الجمال في هذه الأبيات، لأننا سنراه في موقف آخر يصدر حكما ويقدم مبرراته.

ونجد أمثلة لهذا النقد غير المعلل عند الشعراء خاصة، فكأنهم يرون أن مبررات أحكامهم واضحة وضوحا لا تحتاج معه إلى مزيد من البيان يذكر المبررات والعلل، وإلا فإنه من المستبعد أن يجهل شاعر مثل لبيد أو الحطيئة أو حسان بن ثابت العلة التي بنى عليها حكمه النقدي، فحين استشار عمر بن الخطاب حسانا ولبيدا في هجاء الحطيئة الزبرقان بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أجابا بإيجاز، فقال حسان: لم يهجه ولكنه سلح عليه، أي هجاه وأفحش في هجائه، أما لبيد فقال: ما يسرني أن لحقني من هذا الشعر ما لحقه وإن لي حمر النعم[2].

إن هذين الحكمين لا يمكن أن يندرجا في النقد الانطباعي الساذج، فالاقتصار فيهما على الإجابة الموجزة لا يعني أبدا أن حسان بن ثابت ولبيدا لم يستطيعا أن يقصى القول في أسباب هذا الحكم ويحللا البيت تحليلا يكشف عما فيه من هجاء فاحش بحكم معرفتهما بأسرار هذا الفن من فنون الشعر، والحطيئة نفسه وهو الذي تعود النظر في متون الشعر وأعطافه، مهذبا ومنقحا، وكان عارفا بما يضعه، حين سأله سعيد بن العاص عن أشعر العرب، وضع على رأسهم أبا دواد الإيادي، وأتبعه بعبيد بن الأبرص وثلث بنفسه، ففي حكمه هذا الذي قد يخالفه فيه غيره من

[1] الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص240-241

[2] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج15، ص 372.

النقاد، كان انطباعيا، غير أن هذه الانطباعية لا تعني البتة أن الحطيئة لا يملك من المبررات ما يؤيده به حكمه، ولبيد كالحطيئة سئل عن أشعر العرب، فجاءت إجابته غير معللة، جاء في الأغاني أن عبد المالك بن عمير قال:" أخبرني من أرسله ..... الأشراف إلى لبيد بن ربيعة، وهو في المسجد وفي يده محجن فقلت: يا أبا عقيل، إخوانك يقرأونك السلام ويقولون:" أي العرب أشعر، قال الملك الضليل ذو القروح، فردوني إليه وقالوا: ومن ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس، فأعادوني إليه وقالوا: ثم من؟ قال: الغلام ابن ثماني عشرة سنة، فردوني إليه فقلت: من هو؟ فقال: طرفة، فردوني إليه فقلت، ثم من؟ قال: صاحب المحجن[1].

حيث يقول:

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

يعني نفسه، ثم قال: استغفر الله[2].

إن هذا الحكم مجمل حقا، لكن ذلك لا يدل على أن لبيدا كان عاجزا عن تقديم تفسير أو تعليل له، فهو شاعر عليم بالشعر عارف بأقدار الشعراء وفي ذلك ما يكفي سائليه للإقناع بقيمه حكمه دون ما حاجة إلى تقديم المبررات والأسباب، ونحن إذا تأملنا حكمه فإننا نجده يومئ إلى المعيار الذي جعله يعد نفسه واحد من أشعر العرب، فقد استشهد بأبيات له ذات مضمون إسلامي لا تفوق من حيث الجودة الفنية شعره الجاهلي، ولم يورد لأمرئ القيس وطرفة شاهدا على تقدمهما، فكأنه أحس أن سكوته عن إيراد الشاهد بالنسبة إليه سيجعل أذهان سائليه تنصرف

[1] المصدر السابق، ج15، ص 371.

[2] المصدر نفسه، ج 15، ص 372.

إلى شعره الجاهلي، فيجدون من يتقدمه في ذلك، فجاء بما يرفع اللبس ويبين الأساس النقدي الذي احتكم إليه في إحلال نفسه في تلك المنزلة، معنى ذلك أن السر في غياب التعليل في كثير من الأحكام النقدية هو يقين الناقد بأن من يوجه إليهم كلامه يملكون من القدرات ما يؤهلهم إلى تبين الأسباب. فلبيد كان على بينة من أن معايير الحكم بالنسبة إلى طرفة وامرئ القيس كانت معروفة، أما بالنسبة إلى نفسه فقدم ما يوضح المقياس الجديد الذي اعتمد عليه في جعل نفسه واحدا من أشعر العرب.

فالنقد غير المعلل وإن استمر في صدر الإسلام، فإنه لا يدل على سذاجة عقلية أصحابه، بدليل صدوره عن شخصيات ظهرت قدرتها على التحليل في نقدها المعلل-كما سيتبين-وفي ميادين أخرى كالتشريع مثلا.[1]

ب-النقد المعلل في صدر الإسلام:

بين البحث في صفحات سابقة أن النقد الجاهلي لم يكن كله نقدا غير معلل، وقدم أمثلة من النقد الذي كان النقاد يعللون فيه أحكامهم، ورأينا أيضا أن النقد في ذلك العهد لم يكن دائما نقدا جزئيا يتناول بعض جوانب العمل الشعري فحسب، فإذا كان الأمر كذلك، فإنه من الطبيعي أن تجد في صدر الإسلام صورة من هذا النقد المعلل، لأننا لا نتصور مع ظهور الإسلام الذي حث الإنسان على النظر والتأمل والبحث فيما حوله أن يتراجع الفكر إلى مرتبة أدنى من التي كان فيها في المرحلة السابقة، وقلة النصوص النقدية في هذا المضمار ليست قرينة كافية لدفع ما نذهب، فكما ألهمنا فيما مضى فإن المسلمين أظهروا في مجال التشريع-خاصة بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم- عقلية ناضجة قادرة على التحليل وتعمق الأشياء وربط الأسباب بالمسببات وذلك حيث لا يجدون نصا من القرآن أومن الحديث، ثم فإن التفسير الذي نراه لقلة النصوص النقدية التي يذهب فيها الناقد إلى التفصيل في تقليل حكمه وهو ضياع بعض هذه النصوص من ناحية ثم إن النقد غير المعلل كان يفي بالحاجة من ناحية أخرى[2]،

[1] نظرية الإبداع في النقد العربي من نهاية القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة دمشق ص 280-281

[2] المرجع السابق، ص 281-282.

ذلك لأن مستوى الذوق الفني الذي كان يتمتع به الناس يومئذ كان يسعفهم في استبانة المبررات الفنية للحكم النقدي دون ما حاجة إلى التفصيل في أغلب الأحوال، والدليل الذي يعزز هذه الفكرة هو وحدة الذوق عندهم، فمقاييس الجمال تكاد تكون واحدة بين العرب كلهم، والذي ساعد على تحقيق الوحدة الذوقية على ما يبدو لنا هو الأسواق الأدبية التي كانت تقصد في مختلف أنحاء الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي كان يقصدها الناس- شعراء وغير شعراء-من كل فج عميق، إلى جانب التشابه الكبير في ظروف الحياة، ولا يحل بوحدة الذوق والمعايير الفنية عندهم اتجاه بعض شعرائهم إلى المبالغة في تهذيب قصائدهم وتجويد ها قبل إخراجها.

الفصل الثالث: النقد في العصر الأموي

أولا: عوامل تطور النقد في العصر الأموي.

ثانيا: أنواع النقد في العصر الأموي.

ثالثا: أصناف النقاد في العصر الأموي.

1-عوامل تطور النقد الأدبي في العصر الأموي:

أ-أحداث العصر: إنّ دراسة الحركة النقدية بين عصر صدر الاسلام والعصر الأموي ليس شكليا لأن الحقبة الأموية التي تمتد من خلافة معاوية سنة (41هـ) الى سقوط بني أمية على يد العباسيين سنة (133هـ)، امتدادا لعهد الخلفاء الراشدين، فمنذ الأيام الأولى للدولة الأموية بدأت الأحداث تتوالى وستكون لها آثار عميقة في جميع جوانب الحياة الاسلامية، غير أن هذه الأحداث لا يمكن للأدب والنقد البقاء بأنهما ظاهرتين ثقافيتين معزولتين عن بقية الأنشطة الاجتماعية والتأثر بها.

"ان جهود الأوائل من قادة الدولة الاسلامية متجهة الى تحقيق وحدة المسلمين وإقامة العدل بينهم، الا أن الخلافة بينهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم شورية حتى جاء الخليفة عثمان –رضي الله عنه- وأحدث تغييرات جديدة في توجهات الدولة التي أقامها الإسلام على تقوى الله والمساواة والعدل والأخوة"[1].

فاتجه الخليفة عثمان –رضي الله عنه- وجماعة من أفراد بيت الأموي على الخلاف لإدارة شؤون الدولة، غير أن هؤلاء لم يتفقوا على الحكم وأساؤا ذلك، وكان نتيجة هذا مقتل الخليفة عثمان فخلفه بعد ذلك علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فانتخب بالشورى،ولكن الأمور بقيت على حالها، فقد جاء الأمويون وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان بمطالبة حقهم في الخلافة فجرت بينهم كثير من الأحداث فانضمت الى هذا الصراع على الخلافة عناصر اسلامية أخرى، ومع هذا فلم يعد الوضع مستقرا بعد مقتل الامام علي، فبعد ذلك انقسم المسلمون الى فرق، وكل واحدة من الفرق تطالب بحقها في الخلافة، ففي الشام تأسس الحزب الأموي على يد بني أمية، أما في العراق فتأسس حزب الشيعة على يد العلويين، وعرف أيضا حزب آخر وهو حزب الخوارج الذي دعا الى خلافة شورية ديموقراطية،

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط،2010، ص106.

أما بالنسبة للحجاز ظهر حزب الزبيرين، وكان مؤيده عبد الله بن الزبير، وأما حزب الهاشميين فتأسس على يد بني هاشم.

فهذه الأحزاب خاضت صراعات ضد الأمويين لأعوام طويلة، فحولوا الخلافة الى حكم وراثي، فكان الخطر يهدد عرش معاوية خاصة خصومه الخوارج، فسقطت دماء كثيرة بين الحزبين خصوصا في السنوات الأولى من الحكم، غير أن معاوية لفت الأنظار عنه وشغل الناس عن التفكير في إنشاء عمل، والى جانب ذلك اعتمد معاوية الإغراء المادي مع أهل الحجاز ليغرق الناس في متعة الحياة، فيكفوا عن التفكير في منازعة الأمويين في ملكهم والشغب عليهم [1].

غير أن معاوية قد حقق نجاحا كبيرا بهذه الأساليب التي اصطنعها، مع ذلك فان الأمور لم تستقم بسهولة لخلفائه، فبعد وفاته عاد الصراع ضد الدولة الأموية، فعلى الرغم من الجهود التي بذلوها ومختلف الأساليب، والطرق لتحقيق الإستقرار والأمن، غير أن الصراع لا يزال ضد الأمويين طوال فترة حكمهم .

ففي هذا العهد استمرت الفتوحات الاسلامية في المشرق واتجهت غربا بفتح افريقيا وبلاد الأندلس، الا أنّ أهداف الأمويين كانت من قبل هاته الفتوحات، فالهدف من ذلك هو إسهامها في الثراء سواء بالغنائم أو بالأموال ...، وغير ذلك.

إنّ هذه الأحداث وبما فيها من الإجراءات والطرق والأساليب التي اتّخذها الأمويون ضد عدوهم لتثبيت ملكهم، فسيكون لها الأثر في النقد والأدب والناقد.

ب–نشاط الحركة الشعرية: إن الحركة الشعرية شاركت مشاركة واسعة في الأحداث التي عرفها الخلفاء الراشدين في عهد النبوة، غير أنّ ربط الحركة الشعرية بالقيم والمثل الإسلامية جعل الشعراء المؤمنين حريصين على نشرها وترسيخها في النفوس والتي ورثوها عن العصر السابق كالهجاء والغزل والفخر، أما بالنسبة للعصر الأموي فقد وقعت أشياء

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص107.

كثيرة لم يعرفها العصر السابق،فقد أسهمت الحركة الشعرية التي أزاحها الاسلام، بحيث كان للشعر في بعض البيئات صبغة خاصة، في حين أن الأمويين وصلوا الى الخلافة باستعمال الحيلة من ناحية، ومن ناحية أخرى بذلوا جهودهم وعملوا على تثبيت الحكم بأساليب وطرق مختلفة لترضية الطرف الآخر من أساليب الاغراء المادي ، بالاضافة الى كل هذا أحدثوا تغييرا جذريا في نظام الحكم بعد ما كان شوريا أصبح وراثيا، وفي ذلك قال د.بدوي طبانة من حيث سياسة بني أمية :"تدبير الدولة سياسة بكل ما تقتضيه هذه الكلمة من مستلزمات، فخلفاء المسلمين ما للملوك والفرس والروم من أبهة الملك ومظاهر الفخامة والمنزلقين الخطوة والعطاء وللمنقبضين البسط والايناس والتركيب.

والترهيب وللناقمين المصانعة ما أجدت المصانعة، ثم السبق إذا لم يكن من اصطناعه يدل، ومن المصانعة والترغيب والترهيب ما لم يكن لله ولا لرعاية الحقوق التي قررها الإسلام، وإنّما كان لدعم الدولة وبسط نفوذها وتوطيد حكمها ... وهكذا حول بنوا أمية الخلافة الزاهدة المتواضعة المجاهدة الى ملك غضوض فيه كبرياء السلطان وترف حاشيته وحجابه وأوليائه "[1].

إنّ الأحداث التي جرت خلال العصر الأموي من صراعات وخلافات عن الخلافة، فإن هذه الأحزاب ظلت طوال الفترة الأموية في صراع دموي خصوصا مع الخوارج والشيعة، الاّ أن هذه الأحداث كان أثرها بعيدا عن الأدب فلم يقتصر هذا الصراع الا على السيوف، وانما كان صراعا باللسان، غير أن الأمويين استخدموا وعيهم، فكان الشعر هو الوسيلة لتهدئة النفوس وإرضائها وإقناعها بحق بني أمية في الخلافة لتزيين حكمهم في أعين الناس، في حين أن الأخطل مدح عبد الله بن مروان بقصيدته التي مطلعها:

حق القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير

[1] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، المكتبة الأنجلومصرية ،1975، ص102-103.

فقد جعل عبد الملك بن مروان أن يتطاول بما فيها من معان وصور وجدت في نفسه، وحين انتهى من انشادها قال له عن إعجابه بمثل هذا المدح الذي وافقه: " ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب؟ وأمر بحفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعا، وفي رواية أنه لما أنشده هذه القصيدة أمر بأن يلقى عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته وقال:"ان لكل قوم شاعر وإنّ شاعر بني أمية الأخطل"[1].

وفي قول أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني:"أن نصيبا دخل علم سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق، فاستنشر الفرزدق وهو يمدحه في قوله:

وركب كأن الريح تطلب عنهم لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا سر عيون الريح وهي تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب

اذا استوضحوا نارا يقولون ليتها وقد خضرت أيديهم نار غالب

فعند سماعه قال سليمان لنسيب: قم فأنشد مولاك ويلك فقام فأنشده قوله:

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال وملاك قارب

قفو اخبروني عن سليمان انني لمعروفه من أهل ودان طالب

فحاجوا فأثنوا بالذي أنت أحله لو سكتوا أثنيت عليك الحقائب

وقالوا عهدنا وكل عشية بأبوابه من طالب العرب راكب

هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدر المضيء الكواكب

[1]-.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار صعب بيروت، عن طبعة بولاق، ج8، ص278.

فقال سليمان :"أحسنت والله وأمر له جائزة ولم يصنع ذلك الفرزدق ...الخ"[1].

"وفي رواية أخرى دخل الأحوص على يزيد بن عبد المالك فقال له يزيد :" والله لو لم تمت الينا بحرمة ولا توسلت بدالة ولا جددت لنا مدحا غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجبا حين نقول"[2].

وإني لأستحيكم أن يقودني والى غيركم من سائل الناس مطمع

وإن أجدي للنفع غيرك منهم وأنت امام الرعية مقنع

ان فكرة التشجيع التي تلاقاها الشعراء من بني أمية لرواج سياستهم، فالأخطل كان من بين شعراء بني أمية يخدم سياستهم يرضيهم، أما سليمان بن عبد المالك خيب أمل الفرزدق لأنه لم يأت في قصيدته بما يرضي ويخدم سياسته، غير أنه نجح فنيا في تصوير فكرته، فقد خصّ نصيبا بما حرم منه الفرزدق لإعجابه بالصورة التي رسمها له، حيث أن الأثر الواضح هو أثر السياسة الأموية في تشجيع الشعر الذي يخدم مصالح الأمويين، في حين أن العامل السياسي لم يكن هو الدافع الوحيد لدى الأمويين لتشجيع الحركة الشعرية، الا أنه تواجد عامل آخر له علاقة بالسياسة ساعد على نشاط الحركة الشعرية، وتمثل في تحريك الأمويين للعصبيات القبلية، وذهب بعض الشعراء الى معاني الفخر والهجاء عند أمثالهم الجاهليين، وقد ساعد ذلك أغلبهم الذين شاركوا في هذه المعارك الشعرية، غير أنّ بيئة العراق لها صورة واضحة لنشاط الحركة الشعرية مصبوغ بالصبغة القبلية، فالكثير من الشعراء دخلوا الصراع فكل قبيلة تناصر شاعرها، فقد أثمر وأزهر هذا الصراع السياسي بين الأمويين والكثير من المعارضة في الشعر[3].

فكل حزب له شعرؤه المدافعين عنه ومؤيديه بحجة، فالعراق كان هو الوطن لنشاط الحزبين (الشيعة والخوارج)، حيث خلفت ثراتا أدبيا أسهمت به في نشاط الحركة الشعرية، غير أن الأثر الذي كان للسياسة التي سلكها خلفاء بني

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص 337-338.
[2] المصدر نفسه، ج1،ص250-251.
[3] المصدر نفسه، ج4،ص251.

أمية مع أهل الحجاز في تطوير الشعر بعد نقل عاصمة الخلافة الى الشام، وانتقال المعارضة الى العراق، وبذل المجهود لشغل الهاشميين عن التفكير في السياسة، وذلك بدفعهم الى الإقبال على حياة الترف واللهو، فانغمسوا في حياة متحضرة مترفة يغلب عليها اللهو والمجون، بحيث ساعد على نجاح هذه السياسة الأموية الحجازيون وما ورثوه، وكذلك نقل الى هذه البيئة الكثير من العادات والطباع ومن المظاهر الحضارية الجديدة، فأسهمت هذه العوامل في تغيير وجه الحياة الحجازية، الاّ أنّ الغناء كثرت مجالسه في مدن الحجاز خصوصا في مدينتين "مكة والمدينة"، وفي ذلك قال معبد :" غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب الي به فقلت: لأتين مكة ولأسمعن من المغنيين بها ولأغنيهم ولأتعرفن عليهم فأتبعت حمارا فخرجت عليه الى مكة فلما قدمتها بعت حماري وسألت عن المغنيين أين يجتمعون؟ فقيل: يقعان في بيت فلان، فجئت الى منزله بالفلس فقرعت الباب فقال له من هذا؟ أنظر عفاك الله، فدنا وهو يسبح ويستعيذ، كأنه يخاف ففتح فقال: من أنت عفاك الله؟ قلت: رجل من أهل المدينة، فقال :ما حاجتك؟ قلت :أنا رجل اشتهى الغناء وأزعم أنني أعرف شيئا منه وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك، وقد أحببت أن تنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم فإنه لا مؤونة عليك مني ...الخ"[1].

ان كلام معيد يؤكد فكرة اقبال الناس على الغناء وشيوع مجالسة التي كانت تعرف ألوانا من اللهو، فقد اشتهرت طائفة من المغنيين في مكة والمدينة أمثال: معبد، ابن سريح، وسائب وحائر ونشيط وجميلة وابن جامع...وغيرهم.

إنّ الحجازيين عاشوا عيشة مختلفة، فاعتنقوا حياة امتزجت فيها عناصر الحضارة العربية الأصيلة أسّسها الاسلام، فإن آثارها السلبية على المجتمع المكي والمدني كانت كبيرة، غير أن هذه الآثار كانت نتيجة كثرة العواطف وغرائز الدنيا ... وفتح مجالات المتعة غير البريئة التي أدت الى انتشار الإباحية والمجون في المجتمع فأدى هذا الأثر الى انعكاسات على ابداعات الشعراء، توارثت في أشعارهم الكثير من المظاهر التي كانت بارزة في الشعر العربي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام، وفي ذلك يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : دواعي الفخر والحماسة وكان يختفي الهجاء لاختفاء

[1]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،المصدر السابق،ج4،ص57-58.

كثير مثيراته وقلّ المدح لأن أغلب شعراء الحجاز في هذا العصر كانوا في رغد من العيش ومن ثم لم يكونوا بحاجة الى التكسب بشعرهم"[1].

غير أن الشعر الغالب على بيئة الحجاز هو شعر الغزل، شعر يمتاز بالوصف الصريح خصوصا وصف النساء، فيه جرأة على التقاليد وخروج عما كان عليه الشعراء القدامى، يختص بعدم التقيّد وفيه محاولات جديدة تمتاز بالتنويع في الأساليب والتعابير، الاّ أنّه يهدف الى تغيير النظرة[2].

فكل هذه الآثار للحياة المحتضرة في الحركة الشعرية لم تكن ايجابية كلها، انّما كانت مختفية بعض الظواهر الفنية الجديدة في الشعر كاستقلال القصيدة بموضوع واحد وكأسلوب الحكاية، وكلاهما ظهر في شعر عمر بن أبي ربيعة، فهذا الأخير أكبر ممثل للغزل الصريح، فيوجد فئة قليلة من معترفيه "كابن جريح" الذي قال فيه: "ما دخل على العواتق في مجالسهن شيء أصر عيهن من شعر بن أبي ربيعة".

انّ هذا التطور الذي مش الحركة الشعرية من جوانبها المختلفة بفضل العوامل لا يمكن أن يكون عديم الأثر في الحركة النقدية، الا أنّ الأمويين كانوا يقدمون الشعر ليخدم سياستهم، فالمدح له المكانة الأولى بين الأشعار، غير أن للمعنى والصورة أهمية بالغة في تقييم الشعر ليثار جماليته لاسيما شعر "جرير والفرزدق والأخطل" آثار الكثير من النقد في مجالس الخلفاء والأمراء في الأسواق الأدبية فهؤلاء الشعراء الثلاثة هم أشهر أهل الاسلام فقد اختلفوا فيما بينهم[3]

.

فالدليل على ذلك أن الفرزدق يميل الى جزالة الشعر وفخامته، أما جرير يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السمح السهل[4].

[1]-.عبد العزيز عتيق،تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق،ص107.

[2] -. عبد العزيز عتيق،تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق،ص110.

[3]-.ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، المصدر السابق ،ج1،ص 299.

[4]-.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص94-95.

غير أن شعر المعارضة السياسية ترك بصماته في النقد الأدبي في العصر الأموي خاصة من حيث المضامين، وكذلك الحياة الحجازية أثرت وتركت أثرا في الحركة الشعرية، حيث النقد تأثر بالشعر ما أدّى ذلك من تطور من نمو بفعل المؤثرات الحضارية، في ذلك قال د/ عبد العزيز عتيق في حديثه عن النهضة الشعرية في الحجاز: "وقد استتبعت هذه النهضة الشعرية الجديدة في بيئة الحجاز الظريفة المرحة اللاهية نهضة أخرى في النقد الأدبي تجاريها في روحها، نهضة تدّل الى حدّ ما على رقيّ في الذوق واتساع في الأفق والنظرة والتفات الى بعض جوانب النقد التي لم يلتفت إليها النقاد السابقون [1].

ج–المجالس والأسواق: إنّ خلفاء بني أمية نشؤا جميعا على حب الثقافة العربية، فكان الشعر أهم عناصرها، بحيث كان معاوية أبي سفيان هو أول هؤلاء الخلفاء لذلك يحرصون على أبنائهم على تعلّم الثقافة ويشجعونهم ويوفرون لهم سبيل الوصول اليها، فمعاوية بن أبي سفيان أول هؤلاء الخلفاء يذهب الى تعلّم الشعر واجب للنّاس،كما له آثار ايجابية منها تهذيب المرء وتحسين أدبه، وفي ذلك قوله:"يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأب"وقال:"اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأتني ليلة الجرير بصفين وقد أتيت بفرس أعز محجل يعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملي على الاقامة الا أبيات عمرو بن الأطنابة..."[2].

إنّ الأدب احتل مكانة عالية في نفوس خلفاء بني أمية، فالأمويون أحدثوا الكثير في سياسة الدولة وكانوا محافظين على مظاهر الحياة العربية الأصلية من تقاليدها والاقبال على شعرها، وتنشيط الآداب العربية القديمة بجمعها وتدوينها.غير أن معاوية يستدعي من اليمن من يحدثه عن أخبار الجاهلية وينشده من أشعاره، أما عبد الملك بن

[1] –.عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص113.

[2] –.ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1،ص29.

مروان قضى حياته في المدينة ونشأ على حبّ الثقافة العربية وانتقالها الى الشام، وفي ذلك يقول:"لست بشيء من العلوم أقل رواية مني للشعر ولو شئت لأنشدت شهرا ولا أعيد بينا"[1].

ان الأدب كسب كثير من اهتمام الأمويين بالشعر والشعراء حيث كثرت المجالس لالتقاء الشعراء والرواة والعلماء، وإنشاد الشعراء الأشعار القديمة وأشعار الشعراء المعاصرين، فلم يكن حضورهم على سماع ما ينشر عليهم وإنّما كانوا يعقلون عليه ويبدون رأيهم فيه وينقدون ما يجب انتقاده، فتحدث المفاضلة بين الشعراء، فهذه المجالس كانت تشبه المنتديات الأدبية[2].

غير أن هذه المجالس أسهمت بشكل كبير في تطور النقد الأدبي في فترة العصر الأموي، وفي ذلك جاء في كتاب (الأمالي):"أن عبد الملك بن مروان كان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال لهم: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر وليفضل من رأى تفضيله، فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم: امرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم :الأعشى. فلما فرغوا قال : أشعر والله من هؤلاء جميعا عندي الذي يقول :فأنشد أبياتا من قصيدة مبيمة لمعن بن أوس[3].

وفي رواية يروى أن الأقيش دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذكروا الشعر وذكروا قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي

قال عبد الملك : والله أنت أسوأ من قولا منه حين توكل بها، فقال الأفيش: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين، قال كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت هند لذي خلة بعدي

[1]-.ابن عبد ربه، العقد الفريد، المصدر السابق،ج2،ص308.

[2]-.عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 215/203.

[3] -. عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 215/203.

فقال القوم جميعا أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم [1]، وكذلك في كتاب العقد الفريد ذكر أن الشعر تواجد عند عبد الملك بن مروان فقال:"اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالرزق من بني قيس بني ثعلبة وهم رهط أعشى بكر وبأصحاب النخل من يثرب يريد الأوس والخزرج وأصحاب السعف من هذيل [2].وأيضا جاء في كتاب الأغاني:

أن عدي بن الرقاع دخل على الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدته التي أولها :

عرف الديار توهما فاعتادها من بعد ما شمل ميلها وسنادها

فقال له كثير: لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها لميل واسناد الى أن تقومها ثم أنشد :

وعلمت أني ما أسأل عالما عن علم واحدة لكي ازدادها

فقال كثير:" كذبت وربّ البيت الحرام، فليمنحنّك أمير المؤمنين بأن يسألك أصغر الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظنّ هذا بنفسك، فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدي بن الرقاع حتّى ما نطق[3].

غير أنّ جرير والفرزدق والأخطل اجتمعوا عند هشام بن عبد الملك، فأتى بناقة فقال مثلا:"أنيفها ما بدا لي ثمّ أرحلها" ثم قال: أيكم أتمّ البيت كما أريد فهي له.

[1]-.ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح شاكر، دار المعارف القاهرة ، مصر، 1966، ص41.

[2]-.ابن عبد ربه، المرجع السابق، ص213.

[3]-.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ج8، ص259.

2/-أنواع النقد في العصر الأموي:

أ-النقد غير المعلل: ان العرب في العصر الجاهلي عرفوا نوعين من النقد، فعندهم الناقد يذهب الى تبرير حكمه وتعليله بحجة أو مجموعة من الحجج والآخر يكتفي بالإدلاء برأيه الاّ أنّه يستحسن ويستهجن ويفضل شعر أو شاعر على شاعر دون أن يوضع الأسباب، غير أن هذا النوع من النقد استمر حتى عصر صدر الاسلام بحيث يكون مرجع الناقد ثقته ليلقى هذه الأحكام غير المعللة وبالتالي ليكونوا قادرين على إدراك مبرراتها: "الاّ أنّ هذا النقد له وجدان وصور تتصف بالذاتية والانطباعية والحكم من التعليل في الحقبة الأموية وامتد هذا اللون من النقد الى هذا العصر بالرغم من توفر عوامل نمو النقد وتطوره ليدل على تبرير وجوده وسذاجة عقلية الناقدين"[1]. والدليل على ذلك أنّها كانت تقام مجالس تجري فيها الأحاديث المبررة لأحكامهم النقدية، فقد عرف في أواخر هذا العصر نموا ملحوظا في دراسة علوم العربية لأنها تستخدم في التحليل والاستقراء والقياس والاستنباط فكلها نتاجها العقل وعليه فإنّ ما أنتجه من نقد غير معلل لا يمكن أن يعدّ قرينة دالة لعجزها عن تحليل الظاهرة الأدبية والوصول الى الأسباب وراء الحكم النقدي في العصر الأموي.

وفي ذلك قول الأستاذ خثير عبد ربي:" في هذا العصر والناس مازالوا قريبي عهد البداوة يتميزون بالسمات، التي لاحظناها في حديثنا على أثر الشعر في النفس العربية كان الشعر يؤثر فيهم فيملك عنان نفوسهم، فيطلقون فيه حكما تعده ذاتيا غير معلل ولا واضح الأسباب ثم إنّ الحكم في غالب الأحيان أو في جميعها إنّما ينبثق عن انفعال بالنص الأدبي بكل عناصره اللفظ والمعنى والايقاع والنسق النظم وحالة السامع وتخيله الحالة التي خلقت النص"[2].

فكيف يصح لتغيير النقد غير المعلل في الحقبة الأموية؟

[1] -.عبد القاهر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائ،ص.156

[2]-.خيثر عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الاسلامي والأموي، رسالة دراسات معمقة، مخطوط بجامعة الجزائر،ص159.

للاجابة على هذا السؤال نلخصه فيما يلي: أن النقد غير المعلل في العصر الأموي ليس من سمات سذاجة العقلية العربية في هذا العهد، كما لا يعد قرينة دالة على عجز هذه العقلية عن التفسير والتحليل والتوصل الى تعليل الأحكام النقدية بتقديم المبررات التي تؤديها ثمّ إنّ هذا النقد لا يعبّر عن انطباعية ساذجة بالانفعال بالأعمال الفنية. غير أن الذاتية ليست من الخصائص التي يتفرد بها النقد المعلل، أما النظرة الجزئية الى النص الشعري ليست ظاهرة عامة فيه فتم عدد غير قليل من الأحكام غير المعللة، لم يقتصر فيها أصحابها على ابداء الرأي في جانب واحد من جوانب العمل الشعري، إنّما عيبت على هذا النقد نجد أمثلة لها في النقد المعلل نفسه.

والظاهرة التي تعاب على هذا النقد هو ميله الى التعميم للأحكام أحيانا انطلاقا من الجزئي كالحكم على الشاعر أنه أشعر الناس، ونذكر مثالا على ذلك فقد روى أن جريرا مرّ بنصيب وهو ينشد فأعجب به أيما اعجاب فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك، فقال له نصيب: وجلدتك يا أبا حرزة فتوفيق الشاعر في قصيدة واحد لا يمكن أن يعتمد دليلا على جودة شعره كله .

"وعلى الرغم من أنّ القوم ما كانوا يملكون من المؤهلات ما يمكنهم من ادراك الأحكام التي كانت تأتي خالية من التعليل، فإنّنا نميل الى الاعتقاد بضعف اسهام هذا اللون من النقد في تطوير الشعر"[1]، فالشاعر المبتدئ خاصة يحتاج الى مجرد ابداء الرأي في شعره، انما يحتاج أيضا الى تنبيهه على مواطن الخطأ والصواب وتعليل ذلك له.

ب–النقد المعلل: إن التطور الذي عرفه النقد في العهد الأموي لم يكن جذريا وشاملا الا أن المناخ الجديد الذي توفر له قد ترك بصماته الواضحة فيه ووجدنا ذلك في النقد المعلل الذي واجه مجموعة من نصوصه بالدراسة والتحليل وسنورد بعض الطوائف النقدية حتى تكون صورة واضحة عن هذا النوع من النقد، وتمثلت في أن أبا الفرج الأصفهاني روى عن الحرمي أن شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة ذكرا: " عند أبي ابن أبي عتيق في مجلس رجل

[1] –.السابق، ص 160.

من ولد خالد بن العاص بن هشام، فقال: أشعرهما فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي الشهر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر، وما عصى الله عز وجل بشعر أكثر مما عصى بشعر بن أبي ربيعة فقد عني ما أصف لك أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطّفت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عن حاجته"[1].

فقال المفضل : أليس صاحبنا الذي يقول:

اني وما نحر وغداة منى عند الجمار يؤدها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها سفطا وأصبح سفلها يعلو

فقال ابن عتيق : يا ابن أخي، استر نفسك وأكتم على صاحبك ولا تشاهد المحافل بمثل هذا.

وكان ابن ربيعة أحسن صحبة للربيع وأجمل مخاطبة حيث يقول:

سائلا الربيع يا ليلي وقولا هجت شوقا في الغداة طويلا.

قال : فانصرف الرجل خجلا[2].

ولفت الانتباه هو الاعتماد على الموازنة، فالناقد لم يقف عند تفضيل شعر على شعر، وإنّما بين ووضّح أسباب التفضيل.

[1]-.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص 223.

[2]-.نفسه ، ص223.

وتجد صورة أخرى لهذا النقد حتى عند الشعراء الذين جاءت آرائهم في الشعر والشعراء خالية من العليل غالبا، في حين أن جرير فيما مضى تجاوز النقد المعلل والنقد غير المعلل وكان ميلهم الى التعليل لملاحظات نقدية للأخطل، فقد روي أن عبد الله بن مروان أنشد قول لكثير فيه:

فما تركوها عنوة من مودة ولكن نجد المشر في استقالها

فأعجب به فقال له: ما قلت لك يا أمير المؤمنين أحسن منه، قال وما قلت؟ قال قلت:

أهلو من الشهر الحرام فأصبحوا موالي ملك لا طريف ولا غضب

جعلته لك حقا وجعلك أخذته غضبا، قال صدقت[1].

انّ الأخطل اقتصر على الموازنة الجزئية بين البيئتين فإن نقده جاء معللا ونجد نماذجا من هذا النقد المعلل عند الخلفاء بني أمية الذين أسهموا بما كانوا يعقدونه من مجالس أدبية في اتساع الحركة النقدية وتطورها، فعبد الملك بن مروان أنشد كثير بقوله:

هممت وهمت ثم هابت وهبتها حياء ومثلى بالحياء خليق

فلاحظنا أن بيت عبد الملك كأن له قصورا في المعنى واستثارة بالحياء.

3/–شروط النقد الأدبي:

النقد يوصف على أنه العجلة المحركة لتطوير وإنضاج أي عمل أدبي أو فني، من خلال تقديم دراسة علمية وفنية تخص ذلك الأثر الأدبي، وللنقد شروط لابد من توافرها منها:

[1] –. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المصدر السابق، ص.351

أ–الموضوعية :

شرط مهم للتوصل الى أحكام ايجابية تفسح المجال لإنتاج أعمال أدبية جديدة، فمن الصعب أن يتجاوز الناقد قناعته الفكرية ومفاهيمه وتوجهاته الأدبية والمدرسة النقدية المتأثر بها، لكن على الأقل يتمكن الناقد الواعي من السيطرة عليها وتوجيهها [1].

ب–الشمولية:

يتفق النقاد على عدم النظرة الاختزالية (الأحادية)، أي إعطاء عامل واحد الأهمية واهمال الجوانب الأخرى فالأثر كأن يكون كلاسيكي أو حديث، وبمعنى أدق "تشبيه العملية النقدية بالعملية الجراحية التي تقل أجزاء الجسم عن بعضها البعض فصلا محدودا فيعالج الجزء ضمن الكل، ودون أن يخلّ بالصورة الشاملة"[2].

أي أن التحليل عملية لا مناص منها في النقد، لذا يجب الحرص على الصفة العامة وعدم نسيانها أثناء التحليل.

ج–مرونة النقد وامكانية تطويره:

من الصعوبة التوصل الى قيمة نقدية ثابتة لا تتغير، اذ يقيم النقد صلة متساوية بينه وبين الأصول النفسية والاجتماعية للكاتب من ناحية، وبين الاشكالية الفنية "كأن تكون علم العروض والقوافي وتفاصيلها الدقيقة الأخرى في العمل الشعري"[3].

فمن الضروري أن يتسلح الناقد بقاعدة معلوماتية ضخمة والاحاطة بكل تفاصيل الموضوع قيد النقد لتكون الصورة النقدية صحيحة فنيا .

[1]–.محروس منشاوي الجاري ، النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب، دار الطباعة المحمدية، د/ط، ص25.

[2]–.ويليام هازلت،مهمة الناقد،تر:نظمي خليل،سلسلة الكتب الثقافية، 1962، ص52.

[3]–. ويليام هازلت، مهمة الناقد، المرجع السابق، ص54.

اضافة الى المامه بالنقد الفلسفي الحديث منه والكلاسيكي ليكون النقد والتحليل على أسس علمية رصينة وثابتة ومنطقية.

1-أصناف الناقد في العصر الأموي:

ان الحركة النقدية في عصر صدر الاسلام شارك فيها قادة الدعوة الاسلامية بما فيهم –الرسول صل الله عليه و سلم – و بعض الضحابة الذين أسهموا في توجيه الحركة الشعرية، أما فيما يخص العصر الأموي فقد شاركت بعض الفئات المختلفة، وأسهمت في ذلك بشعر كبير بنشاط نقدي.

أ-النقاد الشعراء: امتدت جذور مشاركة الشعراء في الحركة النقدية من العصر الجاهلي و لم تكن ظاهرة جديدة ، كما كان بعض الشعراء ينشدون أشعارهم و يصدر الآخرون عليها أحكاما ، فكانوا يمارسون ضربا من النقد على قصائدهم .وهذا ما كان يفعله الشعراء كزهير بن أبي سلمى و الحطيئة و كعب بن زهير ...، و غيرهم ،وعرفوا بعبيد الشعر ، فكان اسهام النقاد الشعراء في العصر الأموي أوسع ومنتشر لكثرة الدعوة الى ذلك .الا أنهم كانوا يجتمعون في المجالس الأدبية و مجالس الغناء و أسواق الأدب ،فهذه الأماكن تدعوا الشاعر الى ابداء الرأي في الشعر سواء شعره أو شعر غيره ، وهذا ما أدى الى المفاضلة بين الشعراء ، فمثال ذلك الفرزدق يقول عن نفسه و عن جرير :"اني و اياه لنغترف من بحر واحد و تضطرب دلاؤه عند طول النهر "[1]. وسأل عن أمدح أهل الاسلام فيقول :"الأخطل أمدح العرب " [2] .و قال :الجاهلية ترى أم الاسلام؟

[1] – أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني المصدر السابق ،ج7،ص17.

[2] – نفسه ،ص349.

قلت أخبرني عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زهير ، قلت فالاسلام ؟ قال: نبغة الشعر الفرزدق ، قلت فالأخطل ، قال : يجيد صفة الملوك و يصيب نعت العمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ فقال :دعني فاني بحرت الشعر بحرا [1].

كما شارك في نقد شعراء آخرون في هذا العهد مثل عمر بن أبي ربيعة و الأحوص و نصيب ، فتناول البعض شعرهم بالنقد ،فاستحسن منه أبياتا و استهجن آخر و في ذلك روى أبو الفرج أن محمد بن عبد ربه قال : " دخلت مسجد الكوفة فرأيت ....ألا قط مثله ولا أشد سوادا منه ولا أنقى ثيابا منه و لا أحسن زيا ، فسألت عنه فقيل : هذا نصيب ، فاقتربت منه ثم قلت له :أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جميل امامنا و عمر بن ربيعة أوصفنا لربات الحجال و أمدحنا للملوك ، أما أنا فقد قلت ما سمعت ،قلت له ان الناس يقولون انك لا تحسن أن تهجو، فضحك ثم قال : أفتراهم يقولون : اني لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت : لا فقال : أفما تراني أحين أن أجعل مكان عفاك الله أخزاك الله [2]

فكل هذه النصوص تمثل لنا صورة عن اسهام الشعراء في الحركة النقدية في العصر الأموي ، على الرغم مما نلمسه من تناقض في أحكام الشاعر الواحد الا أحكام الشعراء النقاد تدل على التناقض أكثر وضوحا ،غير أن هذه الظاهرة لا تقلل من قيمة اسهام هذه الفئة من الحركة النقدية .

ب–النقاد العلماء (علماء اللغة والنحو): عرفت البصرة و الكوفة في العصر الأموي نشأة حركة لغوية و نحوية ،هدفها جمع اللغة واستخلاص قواعد اللغة العربية ، ليهتدي المتكلمون بعد تطرقهم للفساد و نشوء اللحن بين العرب ، نتيجة ذلك ابتعاد النكس عن مواطن الفثاحة و كثرة احتكاك العرب بالأجانب ، وهذا ما أدى الى الخطورة على العربية . غير أن مستعملوها الجدد نقلوا اليها الكثير من عاداتهم اللسانية عما كانوا يقعون فيه من الخطأ هذا

[1]. – نفسه ص :91-92.

[2]. – أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، المصدر السابق ، ج4،ص :305-306.

من جهة ، أما من جهة أخرى فان أبناء العرب لم يستطيعوا أن يحتفظوا بفطرتهم العربية و يحموا أنفسهم من الفساد اللغوي رغم أنهم أنشأوا في هذه الأوساط اللغوية ، الا أن الفساد اللغوي ظل يهدد اللسان العربي لتشويه لوضع النحو للعربية ، وهذا ما دل في القول :"أراد العرب منه أن يصون ألسنتهم من الزلل و الحن المعيب..و قصديه الموالي وضع أصول تحلل لهم تراكيب اللغة و تربي فيهم ملكة الابانة و تهون عليهم ضبط أواخر الكلمات"[1].

الا أن بعض المحاولات منها المحاولات الأولى التي نهض بها أبو الأسود الدؤلي [2] ،ونصر بن عاصم لوضع الأساس لهذا العلم قبل النصف الأول من القرن الأول ،فمنذ أواخر هذا القرن ظهرت ملامح جديدة للحركة العلمية اتسعت دائرتها و تكاثف نشاطها خاصة في القرن الثاني، " فأنصبت جهود علمائها على جمع اللغة و دراستها و استنباط من كلام العرب قواعد النحو ووجوه الاشتقاق"[3] .

ومن العلماء الذين طبقوا المعايير اللغوية و النحوية في نقد الشعر في العصر الأموي منهم يحي بن يعمر و عيسى بن عمر وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي الذي قال ابن سلام في حقه :"كان أول من يصبح النحو ومد القياس والعلل [4] .

ومن صور هذا النقد الذي كان يستند الى قواعد اللغة أن ابن سلام قال أن عيسى بن عمر كان يقول : أساء النابغة في قوله حيث يقول :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرشيق في أنيابها السم الناقع

يقول "موضعها ناقعا"[5] .

[1].- طه ابراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، المرجع السابق ،ص 57.
[2].-ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، المصدر السابق ،ج1،ص 12.
[3].- طه ابراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، المرجع السابق ، ص : 51-52.
[4].- طه ابراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص .14
[5].- نفسه،ص16.

وفي قول الفرزدق يمدح يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بخصاب كنديف القطن منثور

على أعمالنا يلقى وأرحلنا على زواحف ترجى مخاصارير

فقال له عبد الله بن أبي اسحاق :" أسأت انما هي رير ، و كذلك قياس النحو في هذا الموضع [1].

ان أغلب العلماء في العصر الأموي هم الذين ينبهوا على ما في أشعار أمثال الراعي وذي الرمة و العجاج ... و غيرهم من عدم الملائمة بين بعض المعاني و الألفاظ المستخدمة ضمن النقد اللغوي ، وفي ذلك قال ابن عبد ربه :" ومما أدرك على الراعي قوله في المرأة :

تكسو المفارق والبات ذا أرج من قصب معتلف الكافور دارج

أراد المسك فجعله من قصب ، والقصب : المعنى فجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنه المسك [2].

أما فيما يخص ذي الرمة أخذ عليه قوله :

حتى واذا دومت في الأرض راجعه كبر لو شاء نجى نفسه الهرب

قالوا التدويم انما يكون في الجو يقال : "دوم الطائر في السماء اذا حلق و استدار في الأرض اذا استدار فيها[3].

أما الحجاج فأخذ عليه قوله :

[1].- المرجع السابق، ص 17.
[2].- نفسه،ج5، ص362.
[3].- نفسه ، ج5،ص 364.

كأن عينيه من الغؤور قلتان أو حوجلتا قارور

حيرتا بالنضج والتصبير صلاصل الزيت الى الشطور

فقدجعل الدجاج لينضج و يوشح [1].

وعلى هذا النحو ذهب علماء النحو واللغة ليستخدموا قواعد هذين العلمين في الشعر ، فأصبح عيبا لأنهم خرجوا عن أصول خرجوا عن أصول هذه القواعد . غير أن على الشاعر الاعتماد في شعره من صحة لغوية و نحوية ، والدليل على ذلك أن أبو عبيدة روى أبا عمرو بن العلاء كان " يشبه الأخطل بالنابغة صحة شعره " [2]، فالأخطل كان شديد الحرص على قواعد اللغة و النحو في شعره لذلك كان يقول :" وأدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا [3].

فعلماء اللغة و النحو يمارسون نوعا من النقد وعلى هذا الأساس كانت تقوم المفاضلة بين الشعراء ، وفي ذلك يقوم طه ابراهيم :" لا يتصل بعناصر الأدب الفنية ولا ينبعث عن ذوق الناقد [4].

الا أن العلماء أسهموا بشكل كبير في مجال النقد منهم علماء النحو و اللغة ، أمثال أبي عمرو بن العلاء والأصمعي ، وغيرهما فكان منطلقهم فنيا فكاموا يذهبون الى جوانب أخرى في الشعر غير ما يتصل بصحة تراكيبه من الناحيتين النحوية و اللغوية ، "فوضحوا قوة تأثير الشعر و ضعفه الى جمال التصوير بسبب اعتماد هؤلاء على أصول القواعد النحوية و اللغوية واستخلاصها من كلام العرب [5] .

[1].- السابق ، ص 365.

[2].- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، المصدر السابق ، ص .285

[3].- نفسه ،ص 286.

[4].- طه ابراهيم :تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، المرجع السابق ، ص 53.

[5].- نفسه، ص57.

غير أن علماء اللغة والنحو يتعقب الشعراء ، وتتبع أخطائهم في تعاملهم مع اللغة ، فهذا أسهمبشكل كبير في توسيع دائرة الحركة النقدية وتقويمها بهذا اللون من النقد الذي لم يكن معروفا من قبل ، الا ان الشعر كذلك تأثر بما كانوا يصدرون عليه من أحكام .

ج–الرواة والأدباء : عرفت رواية الشعر عند العرب منذ العصر الجاهلي ، فكان لكل شاعر رواية يلزمه و يحفظ شعره ، أمثال زهير بن أبي سلمى رواية الأوس بن حجر ، و كعب بن زهير و الحطيئة روايتيت لزهير ...الخ .

غير أن القبيلة كانت تعنى برواية شعر شعرائها وتشرد بين القبائل و كذلك كان أبناء القبيلة كانوا يروون شعر الشعراء القبائل الأخرى .

فتواجدت مهنة الرواية في العصر الجاهلي و عصر صدر الاسلام ، الا أن الرواية اتسع نطاقها خاصة في العهد الأموي ، فظهر رواة محترفون نجد منهم حماد الرواية و جناد فكانت ملاحظاتهم النقدية هي أهم شيء عندهم فقد قيل عمهم و ما رآه علماء اللغة و النحو فيهم :" و ما حماد و جناد لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور يفصحان [1] .

غير أن حماد خاصة هو أكثر الرواة المحترفين مشاركة في النقد و كان مدركا لدواعي الشعر ، وكذلك وجد شاعر آخر حماد وهو خلف الأحمر كانت له مشاركة في نقد الشعر في العصر الأموي ، الا أن هؤلاء كان اهتمامهم فكانت تحدث المفاضلة بين الشعراء .

أما فيما يخص الأدباء و نعني بهم النقاد يتمتعون بذوق أدبي راق بالشعر الأصيل، فنجد أدباء منقطعين عن الأدب و البعض الآخر شغلهم الوحيدالأدب و أبدت اهتماما كبيرا به ، فانقسم هذا الى فئتين :الفئة الأولى كانوا يعقدون مجالس للشعراء ومتذوقي الأدب ، فأسهمت في نشاط أدبي مما أدى الى مشاركة الأدباء في توجيه الحركة الشعرية و

[1].– أبو الفرج الأصفهاني : المصدر السابق ، ص 283.

النقدية والدليل عاى ذلك اهتمام السيدة سكينية بنت الحسين بالأدب و توليها ،" فكان الشعراء و الأدباء و المغنون و رواة الشعر يختلفون الى مجلسها ، و يتحاكمون اليها فتنقدهم و تجيز الشعراء على ما تراه حسنا من قبلهم .[1]

ويمكن أن نضيف الى هذه الفئة من النقاد شخصيات عرفت بغلبة الأدب عليها فزاد اهتمامها بالملاحظات النقدية ، "فمن الأدباء الذين شاركوا في الحركة النقدية أمثال عقيلة بنت عقيل بن أبس طالب ، سعد ابن المسيب"[2] .

أما فيما يخص الفئة الثانية من الأدباء فيمثلها أولئك الذين يأتي الأدب في المرتبة الثانية من اهتمامهم ، فبالرغم من ذلك فأعطوه الأولوية و العناية الوافرة أمثال خلفاء بني أمية كانت السياسة شغلهم الأول في الأدب ، الا أن الشعراء والرواة و الأدباء لهم ملاحظتهم النقدية من أحاديث أدبية و نقد أشعار الشعراء ، فكان لهذه الفئة دور كبير في نشاط الحركة النقدية في العصر الأموي ، غير أن فئة الفقهاء لم يكن الأدب شغلهم الأول .

2-شروط الناقد الأدبي:

ان النقد الأدبي له أسس علمية مباشرة ، و هي شروط يجب أن تتوفر في الناقد نذكر منها ما يلي :

أ-الذكاء أو الخبرة : وذلك أن يكون الناقد ذا معرفة واسعة بالفن الأدبي الذي ينتقده وما يلابسه من فنون و موضوعات أخرى ، لأن النقد الأدبي لا تتضح قضاياه و لا تستقسم أحكامه حتى يعتمد على مقاييسه الخاصة ثم يستعين بالموازنة بمقاييس الفنون الأخرى.[3].

ومن نواحي الخبرة أنيكون الناقد مطلعا على عصر الأديب ومكانته و سيرته .

[1].- عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد العربي عند العرب ،المرجع السابق، ص 142.

[2].- أبوا الفرج الأصفهاني : الأغاني ، المصدر السابق ،ص114.

[3].- مصطفى عبد الرحمن ابراهيم ، في النقد الأدبي عند العرب مكة للطباعة ،ط1،1998،ص20.

ب–المشاركة العاطفية وتسمى بالتعاطف : وهي الخطوة الثانية و المراد بها أن يكون الناقد ذا قدرة على النقاد الى عقول الأدباء و الكتاب و مشاعرهم ، يحل محلهم و يأخذ مواقفهم أمام التجارب التي يرسمونها والفنون التي يعالجونها ليرى بأعينهم ، و يسمع بآذانهم لعله يدرك الأشياء كما يرونها .

وهو بذلك يحاول نسيان نفسه ليحيا فترة في ظل شخصية الكاتب وفي نفسية و بيئته بشكل اندماجي معهم[1] .

وتتطلب المشاركة العاطفية أيضا أن ينسى الناقد ميوله الخاصة و ذوقه ، و ينسى صلاته الأخرى –ان وجدت – بالشعراء أو كتاب سلبية كانت أو ايجابية ، و ينسى ما في نفسه من قسم و أفكار عن هؤلاء الكتاب لئلا تسبقه فتؤثر على نقدهم و تدووين آثارهم .

ومن الانصاف أيضا أن ينسى الكاتب أمر التعاطف مع جنسيته وقوميته وحزبيته ، و غيرها من العوامل والأهواء التي قد تؤثر أوتشوه حقائق التصور أمامه .

ج–الذاتية أو الفردية : وهي الشرط الأخير ، و هي العودة الى النفس و الخروج من دنيا الأدباء الى دنيا الناقد نفسه بعد هذه النقلة أو الرحلة السابقة ، و نريد بالذاتية أن يضيف الناقد الى مشاركاته العاطفية مقياسه الدقيق الخاص به الذي لا يصرفه عن سلامة الحكم والانصاف في التقدير[2].

وهذا المقياس الخاص مزيج من الذوق السليم و المعرفة الشاملة ، أوهو هذه الحواجب الفنية التي تتلقى آثار الأدب مجتمعة فتتذوقها و تحكم عليها .

و فائدة الذاتية أنها تعطي للناقد الابتكار والجد والطرافة وقوة اليقين ، لأن النقد ثمرة شيئين :

–دراسة موضوعية للأدب بمشاركة منشئه .

[1].– محروس منشاوي الجاري : النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب ، المرجع السابق ، ص25.

[2].–نفسه ، ص 22.

-أو تقدير شخصي يصور من الناقد عقله و شعوره و ذوقه .

ولابد من وضع القارئ نفسه في الظروف التي أحاطت بالكاتب و قت كتابته، هذه الطريقة تمكن القارئ و الناقد من فهم روح الكتابة ، فالناقد مرآة صافية واضحة جلية كأحسن ما يكون والوضوح والجلاء ، وهذه المرآة تعكس صورة الأديب و الكاتب نفسه كما تعكس صورة القارئ ، وأيضا تعكس صورة الناقد في النقد.

3- أهم النقاد وتعريف كل ناقد:

أ-معاوية بن أبي سفيان (41هـ60هـ/221م-280م): هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي من بني عبد شمس بن عبد مناف، ولد بمكة و أسلم يوم فتحها ، نشأ في بيت رئاسة و شرف ، وكان أبوه زعيم في الجاهلية والاسلام ، فقام بتربية معاوية و تهذيبه مما كان له الأثر الكبير في حياته فيما بعد [1].

كان عارفا بالكتابة و الحساب فجعله الرسول صل الله عليه و سلم بين كتابه ، فكتب الوحي ، و روى عن النبي صل الله عليه و سلم حوالي 130 حديثا .

ولد معاوية على الشام بعد مضي خمس سنوات من أول خلافته عمر ، واستمر من بعده حتى آخر خلافة عثمان ، وكانت هذه الخطوة الأولى التي أعقبها خطوات نحو المجد و الشرف والرياسة [2].

وانتهت بتأسيسه للدولة الأموية و توليه زمام أمورها .

والى جانب كونه رجل سياسة فقد كان رجل علم وأدب ، حيث نقلت كتب الأدب و الأخبار عنه و اهتمامه البالغ بالفن الشعري خاصة ، اذ يؤثر عنه أنه كان يقول : " يجب على الرجل تأديب ولده الشعر وأشعر أعلى

[1].- عبد الحميد عبد الرحمن علي:الأدب العربي،العصر الاسلامي والأموي،دار الكتاب العربي،القاهرة،مصر(1426هـ-/2005م)،ص64

[2].- علي سليمان يحفو:الخلافة والخلافاء،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،(1401هـ/1981م)، ص 144.

المراتب الأدب [1].وقدكان شديد الولع بالشعر كثير الرواية له ، لا سيما ما يبعث منه على الشجاعة وينمي القوة والصلابة في النفس .

ب-عبد المالك بن مروان (65هـ86هـ/686م-705م): يعد عبد المالك بن مروان بن الحكم ثاني خلفاء آل مروان ، و خامس خلفاء الأمويين وتاسع الخلفاء منذ بدء تاريخ الخلافة [2].وقض الشطر الأكبر من حياته بالحجاز ، حيث نشأ فيه نشأة اسلامية بين حواضره و بواديه و تشرب الثقافة العربية ثم انتقل الى الشام لظروف سياسية .

استلم الخلافة بعد والده مروان بن الحكم، و قضى فيها أكثر من احدى وعشرين سنة(65هـ/86هـ)[3]، قام خلالها بارساء دعائم الدولة بناءا على فتوحات و أعمال و اصلاحات زادت من حدود الدولة ورفعتها ، و ساهمت في نمائها و تقدمها ، اذ نشأ البريد وصك النقود الذهبية و عرب الدواوين الدولة الاسلامية .

والى جانب السياسة فقدكان له في الأدب باع طويل حيث عرف للشعر و تقريبه للشعراء في مجاليه ،وهو على غرار معاوية بن أبي سفيان يرى أن أداة مهمة للتربية و التوجيه .لذاكان حريصا على جعله وسيلة لتنشأة الأبناء و تثقيفهم جواهر الكلم ،اذكان يقول لمؤدب ولده في وصيته اياه :" وعلمهم الشعر يمجدوا و ينجدوا [4].و يقول له في موضع آخر " أدبهم بروايةأشعار الأعشى فان لها عذوبة تدل على مكارم الأخلاق [5] .

وقدكان يوصي بنيه قائلا :"تعلموا الشعر ففيه محاسن تبتغى ومساوئ تتقى"[6].

فكل هذه الأقوال كونها تدل على على معرفة عبد المالك بن مروان بالأثر النفسي والدور التربوي للشعر ، فهي تعكس حسا نقديا و اطلاعا واسعا تؤكده مشاركاته النقدي التي شهدتها مجالسه الأدبية ، فهو كما قيل عنه شيخ

[1] ابن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ،المصدر السابق،ج1،ص29.
[2] عبد العزيزعتيق : تاريخ النقد الأدبي ، المرجع السابق ، ص 195.
[3] عبد العزيز عتيق :تاريخ النقد الأدبي ،المرجع السابق ،ص 195.
[4].-أحمد بدوي:أسس النقد عن العرب،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ،بيروت لبنان ،د/ط ، 1987،ص 25.
[5].-أبو زيد القريشي: جمهرة أشعاب العرب في الجاهلية والاسلام ، المرجع السابق ،ج1،ص202.
[6].-محمد خضر :النقد الأدبي عند العرب (الخطوات الأولى) ،دار العلم والايمان للنشر والتوزيع ،مصر ،د/ط،2001،ص88.

حلبة النقد في عصره خير من عرض للشعر محاورا ومناقشا وناقدا ، وله في ذلك أخبار كثيرة رواها الرواة و المؤرخون عنه [1].

ج–الوليد بن عبد الملك (50هـ96هـ/669م–715م): قضى عبد الملك بن مروان أجله بعد أن وصي بالخلافة لابنه وليد ثم سليمان من بعده ...وقد بويع الوليد بالخلافة بعد موت أبيه عبد المالك بن مروان وذلك في النصف من شوال (16هـ)..وكانت هذه مدة ولايته عشر سنين غير شهور [2] . وكأبيه كان الوليد يهتم بالشعر والشعراء،وان كانت مجالسه الأدبية ومجالس اخوته من بعده لم تبلغ المستوى الذي كانت عليه في عهد أبيهم ،ومع ذلك فليس بامكاننا أن نذكر مشاركتهم الأدبية و النقدية التي حفظتها لهم كتب الأدب والأخبار ، والتي تركت بصمة واضحة في تاريخ النقد خاصة .

د–سليمان بن عبد الملك (54هـ99هـ/672م–717م): ولد بالمدينة في بني حديلة سنة (54هـ) ، وبويع بالخلافة في ربيع الأول سنة (96هـ) بعد موته أخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان .

وكانت ولايته يمنا و بركة ،افتتحها بخير فرد المظالم و أخرج المسجونين ودق أسوار القسطنطينية بغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، و ختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز [3].، ولو لم يكن من حسنات سليمان الا هاته الخيرة لكفته .

قد كان سليمان أكثر فصاحة من أخيه الوليد ، حيث يروى أنه "دخل على الوليد عبد الملك –وهو خليفة –بعض الأعراب فتقرب اليه بقرابة بينه وبينه فقال الوليد : من ختنك؟ (وفتح النون) فظن الأعرابي أنه يسأل من الختان فأجابه انه بعض الأطباء ،فقال سليمان :انما يقول لك أمير المؤمنين :من ختنك؟(وضم النون).

[1].–قصي الحسني:النقد الأدبي عند العرب و اليونان،معالمه وأعلامه،المؤسسة الحديثة للكتاب،طرابلس،لبنان ،ط/1، 2003،ص201.

[2].–علي المصري:تاريخ ملوك العرب الشعراء ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،القاهرة ،ط1،ج1،(1421هـ1422هـ) ،2001م،ص:106–107.

[3].–علي المصري : تاريخ ملوك العرب الشعراء ،المرجع السابق ،ص115.

فقال الأعرابي : نعم ختني فلان و ذكر قرابته [1].

ولقد كان سليمان مجلس الأدبي ،حيث كان الشعراء يفيدون اليه فينشدونه ، فيستمع منهم في أحاديث الشعر و النقد.

هـ–عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – (61هـ101هـ/680م270م): هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الحكم بن أبي العاص بن أمية كنيته أبو حفص ،وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه...جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه الى المدينة يتأدب بها فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك الى دمشق وزوجه ابنته فاطمة [2].عهد له سليمان بن عبد الملك بالخلافة من بعده فتولاها وهو كاره بعد ان رد رأي فيها الى المسلمين شورى فارتضوه خليفة لهم .

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مخالفا لجميع من سبقوه الى الخلافة من بني أمية في حكمه و سياسته ومثله ،فقد حاول جاهدا في خلافته التي دامت نحو عامين ونصف العام(99هـ-101هـ) أن يصحح الاوضاع الخاطئة وأن يفرض الحق و العدل بين الناس وأن يضع نهاية لكل ما ابتدعته أسلافه من قيم غير اسلامية [3].، مستنا في شؤونه بسيرة النبي صل الله عليه وسلم وصحبه حتى اعتبره أهل العصر خامس الخلفاء الراشدين [4].

غير أنه لم يفرض الشعر كله ولا أباحه كله ،بل كان يزنه بميزان النبي صل الله عليه و سلم الذي يرى أحسن الشعر ما وافق الحق ،وما لم يوافق فلا خير فيه .

[1] نفسه ،ص:121-122.

[2] علي المصري :المرجع السابق،ص124.

[3] .-عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،المرجع السابق ،ص242.

[4] .-علي المصري ،تاريخ ملوك العرب الشعراء ،المرجع السابق ،ص 124.

و-هشام بن عبد الملك بن مروان (72هـ125هـ/690م-743م): هو عاشر خلفاء بني أمية ، و سابع الخلفاء المروانيين ،ولد سنة (70هـ) بدمشق بويع له بالخلافة يوم الجمعة لخمس ليال باقين من شعبان سنة (105هـ) ،فكانت خلافته (20سنة)[1].

روي عنه شدة الحزم وتوفي العدل، والتمسك بالمثل الاسلامية والى جانب كل ذلك كان هشام بليغا يقدر قيمة البيان، وهو القائل : ان الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح[2].

وقد كان كأبيه ة اخوته من قبله محبا للشعر متمثلا به ، ومن ذلك ما روى عنه أنه سخط على خالد القسري زعيم اليمنية ،ووالیه على العراق ، وكا أثيرا على نفسه فلما فوتح في العفو عنه تمثل بقول الشاعر:

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد عليه بوجه حتى آخر الدهر تقبل [3].

وبخلافة هشام عاد الشعر والنقد سيرتهما التي كانا عليها في عهد عبد المالك وابنيه الوليد وسليمان، بعد أن كان عمر بن عبد العزيز عدل به الى الطريق الذي رسمه له النبي صل الله عليه وسلم وخلفاؤه.

[1] نفسه ،ج2،ص134.

[2] عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،المرجع السابق ،ص232

[3] نفسه، ص 233.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية هذه المحطة البحثية توصلنا الى النتائج التالية:

- يعد النقد أحد أهم الركائز الأساسية للحياة الإنسانية، ولتقييم الإنتاجات الإبداعية.
- ظهرت ملامح النقد لأول مرّة في العصر الجاهلي، حيث خصّصت لمجال الشعر في العديد من الأسواق، كسوق عكاظ مثلا، وحمل لواءها شعراء عدّة من أبرزهم النابغة الذبياني.
- اتّسم النقد في هذا العصر بطابعه الذاتي، وبمعاييره المنبثقة من عالم هذه البيئة العربية الشعرية التي تحكمها الجودة والفصاحة.
- انتقل النقد في عصر صدر الإسلام الى مرحلة جديدة بظهور الكتاب والسنة، وتهذيب الشعر، ممّا أعطاه صبغة جديدة تحكمها أسس دينية وأخلاقية وفنية، يتم الاحتكام إليها، لكنّها لا تختلف عمّا سبقها، إذ بقيت الذاتية تطبع هذه الممارسة.
- تبلورت الأفكار النقدية في العصر الأموي، خاصة عندما تمّ الاهتمام بمفهوم النقد ووضع شروط له، ممّا ساعد على تقويم وتقييم الأعمال الأدبية في إطار محدد، ممّا وضع توجها نقديا يختلف نوعا ما عمّا سبقه، لكنّه يرتكز على المعطيات الأولية.
- يبقى النقد أهم الدعائم التي توجه، وتصوّب كلّ عمل حيث تنظّمه وتدفعه الى التقدّم.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3.

3- أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، المطبعة الحمدية، ط6، 1989.

4- أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن سهل، صناعتين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1984.

5- ابي الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار صعب، بيروت، عن طبعة بولاق، ج4.

6- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1976.

7- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، مطبعة بريل، لندن، د/ط، 1902.

8- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط2، ج2، 1972.

9- غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، د/ط، د/س.

10- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المعارف، مصر، شرح محمد شاكر، د/ط، د/س.

قائمة المراجع:

11- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، د/ط، 1987.

12- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط11.

13- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، د/ط، د/س.

14- بن عبد ربه، العقد الفريد.

15- بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي، من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، الانجلومصرية.

16- عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

17- عبد الحميد عبد الرحمان علي، الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب العربي، القاهرة-مصر.

18- علي سليمان يعفو، الخلافة والخلفاء، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1401 هـ -1981م.

19- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1.

20- علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه.

21- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د/ط.

22- شوقي ضيف، العصر الجاهلي.

23- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2008.

24- محمد محي الدين عبد الحميد، الموازنة بين الطائيين للآمدي.

25- محمد بن منظور، النقد المنهجي عند العرب.

26- المرزباني، الموشح، المطبعة السلفية بمصر، ط2، د/س.

27- محمد خضر، النقد الأدبي عند العرب (الخطوات الأولى)، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، د/ط، 2001.

28- محمد طاهر درويش، في النقد الأدبي عند العرب.

29- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه.

30- قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، المؤسسة الحديثية للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003.

فهرس المحتويات:

-دعاء

-إهداء

-كلمة شكر

-مقدمة

مدخل: منطلقات نقدية.....02

الفصل الأول: النقد في العصر الجاهلي

أولا: نشأة النقد الأدبي في العصر الجاهلي.....20

ثانيا: بيئات النقد الأدبي في العصر الجاهلي.....25

ثالثا: النقد الجاهلي في نظر الدارسين المحدثين.....26

1-النقد غير المعلل في العصر الجاهلي.....27

2-النقد المعلل في العصر الجاهلي.....32

الفصل الثاني: النقد في صدر الإسلام

أولا: حالة الشعر في صدر الإسلام.....47

ثانيا: الأسس النقدية في صدر الإسلام.....65

1-الأسس الدينية والخلقية.....66

2-الأسس الفنية.....72

ثالثا: طبيعة النقد الأدبي في صدر الإسلام.....79

1-النقد غير المعلل في صدر الإسلام.....84

2-النقد المعلل في صدر الإسلام.....84

الفصل الثالث: النقد في العصر الأموي

أولا: عوامل تطور النقد في العصر الأموي.....87
1-أحداث العصر.....87
2-نشاط الحركة الشعرية.....88
3-المجالس والأسواق.....94
ثانيا: أنواع النقد في العصر الأموي.....97
1-النقد غير المعلل.....97
2-النقد المعلل.....98
ثالثا: شروط النقد الأدبي.....100
رابعا: أصناف النقاد في العصر الأموي.....102
1-النقاد الشعراء.....102
2-النقاد العلماء (علماء اللغة والنحو) 103
3-شروط النقد الأدبي.....108
4-أهم النقاد وتعريف كل ناقد.....110

خاتمة.....116
قائمة المصادر والمراجع.....118